وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة محمد بوضياف - المسيلة

كلية العلوم الانسانية والاجتماعية
قسم التاريخ
رقم: .....

ميدان: علوم إنسانية
فرع: تـــاريخ
تخصص: تاريخ القرون الوسطى

مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماستر أكاديمـــي

إعداد الطالب(ة): بـــــن زغيبـــة زينـــب

تحت عنوان

مؤنـــث ومكـــان

بحث حول دور المرأة التلمسانية

في العهـــد الزيانـــي

633-962هـ/1235-1554م

لجنة المناقشة:

حصباية محمد	جامعة المسيلة	رئيســا
أ.د/خلفات فاتح	جامعة المسيلة	مشرفا ومقررا
نويقة عبد الرحمان	جامعة المسيلة	مناقشا

السنة الجامعية: 2018/2017

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة محمد بوضياف - المسيلة

كلية العلوم الانسانية والاجتماعية
قسم التاريخ
رقم: .....

ميدان: علوم إنسانية
فرع: تـــاريخ
تخصص: تاريخ القرون الوسطى

مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماستر أكاديمـــي

إعداد الطالب(ة): بـــــن زغيبـــة زينـــب

تحت عنوان

مؤنـــث ومكـــان

بحث حول دور المرأة التلمسانية

في العهـــد الزيانـــي

633-962هـ/1235-1554م

لجنة المناقشة:

حصباية محمد	جامعة المسيلة	رئيســا
أ.د/خلفات فاتح	جامعة المسيلة	مشرفا ومقررا
نويقة عبد الرحمان	جامعة المسيلة	مناقشا

السنة الجامعية: 2018/2017

التشكرات

الحمد لله صاحب أولا صاحب النعمة الذي وفقني لإتمام هذا العمل

لا يسعني في هذا المقام إلا أن أتقدم بجزيل الشكر والعرفان

إلى أستاذي المشرف " خلفات مفتاح"

الذي تكرم بقبول الاشراف والذي استفدت من توجيهاته العلمية

إلى هيئة المناقشة التي ستفيدني بتوجيهاتها وملاحظاتها

كما أتقدم بالشكر إلى كل من قدم إلي المساعدة لإنجاز هذا البحث

الإهداء

أهدي هذا العمل المتواضع إلى الوالدين الكريمين

اللذان سهرا على رعايتي وساعداني بدعواتهما

أطال الله في عمرهما

أهديها إلى زوجي العزيز " محمد عزيز شيكوش"

الذي شد بيدي وأعانني في طلب العلم

لأكمل شهادة الماستر

إلى قرة عيني بناتي الأعزاء: نوميديا، أبرار، منيسا

إلى إخوتي وأختي العزيزة

وأبنائهم وبناتهم

إلى عائلة زوجي حفظهم الله

إلى جميع الأهل والأصدقاء

إلى كل الناس الطيبين

الذين ساعدوني ولو بالكلمة الطيبة

قائمة

المختصرات

ج: جزء

ط: طبعة

ع: عدد

م: ميلادي

هـ: هجري

إع: إعداد

تح: تحقيق

تع: تعريب

تق: تقديم

دت: دون تاريخ

دراسة: دراسة

دط: دون طبعة

مج: مجلد

مرا: مراجعة

هذه القائمة هي أهم المختصرات التابعة للتهميش.

المقدمة

عرف المغرب الأوسط خلال الفترة الممتدة من (633-962هـ/1235-1554م) عصر الدولة الزيانية، التي كانت تلمسان أهم مدنها، ومركزا للإدارة والحكم وحاضرة الدولة الزيانية، بالإضافة لشهرتها بسعة العيش والرفاهية، هذا ما انعكس على تطور الجانب السياسي الاقتصادي وحركة البناء والعمران. نظرا لانتشار المراكز الثقافية كالمدارس، الكتاتيب، المساجد والزوايا، أضحت تلمسان صرحا علميا وإشعاعا حضاريا في المغرب، يأتيها طلبة العلم والعلماء من كل حدب وصوب، مما أدى إلى تطور ثقافي وحضاري. هذا الرقي الحضاري لم يكن ليتحقق لولا تنوع المجتمع الزياني، فكان للمرأة التلمسانية دورها داخل المجتمع، فخاضت غمار المشاركة الفعلية في البناء والمساهمة الحضارية، ومنه كان موضوع المذكرة:

" مؤنث ومكان: بحث في دور المرأة التلمسانية في العهد الزياني 633-962هـ/1235-1554م".

للموضوع أهمية كبيرة، لأنه يسلط الضوء على حياة المرأة الزيانية وخصوصا التلمسانية والدور الذي لعبته خلال أطوار الدولة بمختلف مجالات الحياة (السياسية، العسكرية، الاجتماعية، الاقتصادية والثقافية)، كما أن الموضوع يتعمق في دراسة المرأة التلمسانية كغيرها من نساء بلاد المغرب، وهذه من الأسباب التي جعلتني أختار الموضوع.

هذا الموضوع ليس بجديد، فهناك دراسات سابقة، منها دراسة الأستاذ عبد العزيز فيلالي " تلمسان في العهد الزياني" ودراسة الأستاذ مختار حساني " الأوضاع الاجتماعية والاقتصادية للدولة الزيانية"، والملاحظ على هاتين الدراستين تطرقهما لموضوع المرأة بطريقة غير مباشرة، وتناول المواضيع السياسية، الاجتماعية، الاقتصادية والثقافية بصفة عامة. كما نجد دراسة تطرقت للموضوع بطريقة مباشرة مثل دراسة كرارز فوزية " دور المرأة في المغرب الإسلامي من القرن 5-7هـ/11-13م"، لكننا نجد أن هذه الدراسة تطرقت للموضوع بصفة عامة، إذ كان تركيزها على المرأة المغربية والأندلسية، ولم تتطرق إلى المرأة الزيانية بصفة واضحة.

هذا ما جعل البحث يحتاج إلى دراسة معمقة وتقاطع للمصادر والمراجع والتركيز على المرأة في المغرب الأوسط خاصة، مما جعلني أطرح إشكالية الموضوع التالية:

ما مدى فعالية المرأة التلمسانية خلال الفترة الزيانية؟

وهذا الإشكال يطرح تساؤلات عديدة:

-هل كان للمرأة التلمسانية الزيانية حضورا في الجانب السياسي والعسكري؟

-ما هي عادات وتقاليد المرأة التلمسانية الزيانية ومكانتها داخل مجتمعها؟

-هل ساعدت المرأة التلمسانية الزيانية الرجل في النشاط الاقتصادي لتعيل عائلتها؟

-هل أخذت حقها في التعليم مثل الرجل وساهمت في الإشعاع الثقافي للدولة الزيانية؟

للإجابة على هذه التساؤلات، قسمنا بحثنا إلى مقدمة، ثلاثة فصول وخاتمة.

* المقدمة تضمنت أهم الخطوات الأساسية لإنجاز البحث مع ذكر أهم المصادر والمراجع المعتمدة.

* أما الفصل الأول جعلت له عنوان الحضور السياسي والعسكري للمرأة التلمسانية الزيانية، الذي اندرج تحته مبحثين، المبحث الأول يدور حول الحضور السياسي للمرأة وتضمن ثلاث مطالب حول فعالية المرأة في تثبيت الحكم والمصاهرة السياسية، التي لعبت دورا كبيرا في تهدئة الأوضاع في دول المغرب الإسلامي بالإضافة إلى الاستشارة السياسية والجوسسة. أما المبحث الثاني جعلت له عنوان الحضور العسكري للمرأة التلمسانية الزيانية، وتضمن مطلبين حول مشاركة المرأة التلمسانية في الحروب ومساندتها للرجال عن طريق القتال والتشجيع لإثارة الهمم بالإضافة إلى المنع والتخفيف لزيادة الثقة في النفس.

* الفصل الثاني جاء بعنوان الحضور الاجتماعي والاقتصادي للمرأة الزيانية التلمسانية، وتضمن مبحثين، الأول حول الحضور الاجتماعي المحتوى على مطلبين، أين تطرقت في المطلب الأول بالتفصيل إلى مكانة المرأة التلمسانية داخل المجتمع الزياني مع ذكر خصائص كل فئة، أما المطلب الثاني تطرقت فيه إلى عادات وتقاليد المرأة التلمسانية الزيانية، بداية من تقاليد الزواج، الخطبة، المهر، العقد ومظاهر الاحتفال بالزواج في تلمسان الزيانية بذكر لباس المرأة وزينتها بالإضافة إلى أهم مشاكل الزواج من طلاق وخلع.

كما تطرقت إلى عادات الاحتفالات الدينية في المولد النبوي والعيدين (الفطر والأضحى) ورمضان، بذكر أنواع الطعام الذي كانت تعده النسوة بتلمسان الزيانية، كما استعرضت إلى نوع من الاحتفالات المذمومة داخل المجتمع الزياني، والعادات المتعلقة بخروج النساء بتلمسان كزيارة النساء للأضرحة والمقابر، الخروج إلى الحمام، الأسواق والمنتزهات، معتمدة على كتب النوازل ورأي الفقهاء.

أما الجانب الاقتصادي، تطرقت فيه إلى الحضور الاقتصادي للمرأة التلمسانية في المدينة والريف، وأهم الأعمال التي شاركت فيها المرأة وساعدت الرجل في النشاط الاقتصادي، سواء المجال الفلاحي، الحرفي أو التجاري.

*الفصل الثالث جاء بعنوان الحضور الثقافي للمرأة التلمسانية الزيانية، المتضمن ثلاث عناصر، المرأة والتعليم الذي تطرقت فيه إلى تعليم المرأة بصفة عامة في الكتاتيب وتعلمها المبادئ الأولى فقط، بالإضافة إلى المرأة داخل الفئة الخاصة والبيوتات العلمية، أما العنصر الثاني كان حول المرأة والتصوف ذكرت فيه أهم أسباب تصوف النساء بالإضافة إلى الحديث عن التصوف في البيوتات العلمية والتصوف الشعبي بصفة عامة مع ذكر أهم الصالحات والزاهدات، والعنصر الثالث سردت فيه صورة المرأة في الشعر الزياني أين ذكرت الصور العامة أو الجسدية للمرأة الزيانية والصورة المعنوية من خلال الشعراء الزيانيين اللذين تغنو بجمال نساء تلمسان.

* أما الخاتمة، كانت عبارة عن مجموعة من النتائج وإجابة عن الإشكال المطروح.

ولدراسة هذا الموضوع اعتمدت على المنهج التاريخي لسرد الأحداث والوقائع طوال البحث، كما تخلله المنهج التحليلي والاستنتاجي في بعض الأحيان ولو بصورة ضيقة، لاعتمادنا على كتب النوازل لتحليل بعض المظاهر الاجتماعية من عادات وتقاليد، والاستنتاج عند الخروج بفكرة.

ومن الصعوبات التي واجهتني لإنجاز هذا البحث:

-المادة العلمية: صعوبة التحصيل على مصادر أو مراجع تتناول هذا الموضوع تحديدا، أي المرأة الزيانية وخصوصا التلمسانية منها. مما أدى بي إلى مقاطعة معلومات المصادر والمراجع المتوفرة عبر الشبكة الالكترونية بالإضافة إلى الكتب الخارجية وتوجيهات الأستاذ.

-التعامل مع المادة: التي لم تعط صورة واضحة عن وضع المرأة، خاصة المصادر وما كان مقتطفات قليلة خاصة في الجانب السياسي والعسكري، وما وجد لم تكن إلا معلومات موجزة عن المرأة.

ولإثراء الموضوع اعتمدت على مجموعة من المصادر والمراجع أهمها:

-تاريخ ابن خلدون المسمى ديوان المبتدأ أو الخبر في تاريخ العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر في جزئيه السادس والسابع، الذي أفادني في التعرف على الجانب السياسي والعسكري للمرأة التلمسانية.

- كتابي المناقب المرزوقية والمسند الصحيح في مآثر ومحاسن مولانا الحسن لأبي عبد الله الخطيب المعروف بابن مرزوق، فالمناقب أفادتني في سرد دور المرأة في المجال السياسي والاجتماعي ومكانتها داخل البيوتات العلمية فهو عبارة عن سيرة ذاتية لعائلة ابن مرزوق، أما المسند فكشف لنا دور المرأة في نظام الاستخبارات والتفتيش والحضور العسكري.

-البستان في ذكر الأولياء والعلماء بتلمسان لأبي عبد الله محمد بن أحمد الملقب بابن مريم الشريق التلمساني، المتضمن معلومات عن الحياة العلمية والثقافية لبعض علماء تلمسان، مع ذكر النسوة وأحوالهم.

-كتاب أنس الفقير وعز الحقير لأبي عباس أحمد الخطيب الشهير بأبي قنفذ القسنطيني، الذي تكمن أهميته عن كونه تحدث عن الكثير من المتصوفة من بينهم المؤمنة التلمسانية.

-بغية الرواد في ذكر ملوك بني عبد الواد ليحيى ابن خلدون، وقد اعتمدت عليه لترجمة سلاطين بني زيان.

وكذلك كتب الفقه والنوازل التي نذكر منها:

-كتاب المعيار المعرب والجامع المغرب عن فتاوى علماء افريقية والمغرب للونشريسي، ويعتبر هذا المصدر من أهم المصادر المعتمدة في بحثنا من حيث غزارة المادة العلمية، فقدم لنا صورة عن حياة المرأة الاجتماعية والاقتصادية من خلال النوازل الصادرة فيه، وقد اعتمدت بالتقريب على جميع الأجزاء في البحث.

-فتاوى البرزلي جامع مسائل الأحكام لما نزل من قضايا بالمفتين والحكام لأبي قاسم بن أحمد البلوي التونسي المعروف بالبرزلي، الذي يعتبر مصدر مهم، وإن كانت نوازله صادرة في افريقية، إلا أنه رصد الظواهر الاجتماعية في بلاد المغرب، التي نستطيع تعميمها على كل البلاد بسبب الوحدة الجغرافية والمذهبية.

– تحفة الناظر وغيبة الذاكر في حفظ الشعائر وتغيير المناكر لأبي عبد الله محمد بن أحمد بن قاسم سعيد العقباني التلمساني، الذي رصد لنا بعض الظواهر الاجتماعية الخاصة بخروج المرأة.

أما الدواوين الشعرية فكان ديوان الصبابة لابن أبي حجلة التلمساني والشاب الظريف، اللذان اعتمدت عليهما في الفصل الثالث لوصف جمال المرأة من خلال قصائد الغزل.

بالنسبة للمراجع وعلى قلتها، استفدت منها كثيرا وقدمت لي صورة عامة عن الموضوع، نذكر منها:

– تلمسان في العهد الزياني لعبد العزيز فيلالي بجزأيه وكتاب تاريخ الدولة الزيانية بأجزائه الثلاث.

بالإضافة إلى دراسات سابقة من رسائل جامعية (دكتوراه وماجستير) ومقالات تتقدمها مجلة عصور الجديدة بعناوين مختلفة.

الفصل الأول

الحضور السياسي والعسكري للمرأة التلمسانية الزيانية

1-الحضور السياسي للمرأة الزيانية

1-1-تثبيت الحكم

1-2-المصاهرات السياسية

1-3-الجوسسة ونظام الاستخبارات

2-الحضور العسكري للمرأة الزيانية

2-1-القتال وإثارة الحماس

2-2-المنع والتخفيف

تمهيد:

تعتبر الدولة الزيانية (633هـ-962هـ / 1235م-1555م)[1]، واحدة من القوى السياسية التي قامت ببلاد المغرب الأوسط، حيث كانت تتوسط الدولتين الحفصية من الشرق والمرينية من الغرب.

وقد كان للزيانيين دورا بارزا في جميع المجالات، مما أدى إلى ازدهار سياسي، اقتصادي، اجتماعي بالإضافة إلى الجانب الفكري والثقافي. ولا يمكن لنا أن نتصور هذا الرقي والازدهار دون لبنة المجتمع الزياني آلا وهي المرأة.

فقد شهد تاريخ الدولة الزيانية شخصيات نسائية يشار إليها بالبنان أدين أدوارا لا يستهان بها في تسيير دفة الحكم وأخريات كان لهن دور على الصعيد العسكري، ولمعرفة هذه الأدوار بصفة دقيقة ومحددة، لا بد من تناول نشاطها من حيث مختلف الأدوار التي لعبتها طيلة عمر الدولة.

1-الحضور السياسي للمرأة الزيانية:

على الرغم من أن المرأة كانت أكبر المتضررين في الحرب، فإننا لا نعدم بعض النصوص التي تثبت أنها قامت بأدوار هامة، وحركت خلف الستار أمهات القضايا السياسية كالمشاركة في المفاوضات من أجل إيقاف الحروب أو رفع الضرر والمعاناة على الأهالي[2]، مثل هذا:

1-1-تثبيت الحكم:

يستفاد مما ذكرته المصادر التاريخية وخاصة الزيانية منها، أن أمهات الأمراء وزيجات السلاطين كان لهن دورا فعالا في تثبيت وترسيخ الحكم، ومن الأسماء النسوية التي تعرضت لها المصادر التاريخية زوجة أخ يغمراسن بن زيان[3].

---

[1] الدولة الزيانية أكبر دول المغرب الأوسط وأطولها أياما وأحفظها أعمالا، أسسها فريق من قبيلة زناتة بني عبد الواد، وهم إخوة فريقها الثاني بني مرين ملوك فاس، وكلهم في قوة الجانب وكثرة العدد. كانت مواطن بني عبد الواد بين جبال سعيدة شرقا وواد ملوية غربا. كانوا بدوا رحلا ينتجعون المراعي الخصبة بمواشيهم ويترددون على المدن بامتياز، خدموا الدولة الموحدية بامتياز فأقطعتهم ناحية غليزان. استقروا بها حتى إذا دب الهرم إليها تطلعوا إلى الاستقلال عليها وتفرد بحكم أحد أقاليمها، وقد تم ذلك سنة 633هـ/1235م، عندما استولوا على تلمسان وصاروا أصحاب النفوذ الحقيقي على يد " يغمراسن بن زيان". ينظر: عبد الوهاب، منصور: قبائل المغرب، ج1، دط، المطبعة الملكية، الرباط، 1968م، ص146-147.

[2] مفتاح، خلفات. حسيبة، عمروش: المرأة في المغرب الأوسط خلال العهد الزياني (633هـ-692هـ/1235م-1555م) قراءة في الحضور السياسي والعسكري، مجلة الباحث في العلوم الإنسانية والاجتماعية، ع29، جامعة الوادي، الجزائر، جوان 2017م، ص58.

[3] يغمراسن بن زيان: مؤسس الدولة الزيانية، ولد سنة 603هـ أو 605هـ، كان كريما، شجاعا، فاضلا، حليما، متواضعا، ذا سداد، بويع بعد وفاة أخيه أبي عزة زيدان، يؤثر العلماء، خطب ابنة السلطان الحفصي لابنه أبي عثمان وتوفي في أثناء لقائها بمليانة سنة 681هـ. ينظر: أبي زكريا يحيى بن أبي بكر محمد بن محمد بن الحسن بن خلدون: بغية الرواد في ذكر ملوك من بني عبد الواد، م1، دط، مطبعة بيير فونطانا الشرقية، الجزائر، 1903م، ص 110.

وقد ذكرها بن الخطيب " وبتلمسان[1] يغمراسن بن زيان أول ملوكهم، وتقدمته امرأة أخيه قبله، ولكن يغمراسن حاز الشهرة واستحق الذكر "[2]، واكتفى المصدر بهذا الحديث دون ذكر اسم المرأة ودورها السياسي الذي قامت به وكيفية تقدمها إلى الحكم. في حين ذكر صاحب كتاب بغية الرواد في ذكر ملوك بن عبد الواد، أخ يغمراسن بن زيان وهو أبو عزة زيدان بن زيان بن ثابت ملك بإجماع من قبيلة سوى بن مطهر، حارب القبائل إلى أن قتل خارج تلمسان سنة 633هـ، وانقطعت دعوة بن عبد المؤمن من تلمسان وعلى بها صيت الدعوة عبد الوادية إلى أخيه يحيى يغمراسن بن زيان[3].

أما ألمع النساء الزيانيات اللواتي كان لهن دورا فرديا في مرحلة تعرضت لها تلمسان للغزو الحفصي، هي أم السلطان يغمراسن (633هـ-681هـ/1235م-1282م)[4] ، ولوجودها بالقرب من السلطة مهد لها دورا مهما في الدولة الزيانية، فقد تدخلت سوط النساء[5] في مفاوضات ووساطة بين ولدها والسلطان الحفصي، ومن النصوص التاريخية نستدل على الاحترام والتقدير لمهمتها مما أسفر عن عقدها هدنة بين الطرفين[6].

عند استلاء أبو زكريا بن عبد الواحد بن أبي حفص[7]، على مدينة تلمسان سنة 640هـ-1242م، أخضع في نفس الوقت بطون زناتة وبني عبد الواد في المغرب الأوسط، ففر يغمراسن فيمن معه من الجند وحرمه وماله بين يديه من باب علي وصعد جبل ورنيد[8].

وحسب ما أورده صاحب كتاب الدولتين الموحدية والحفصية فإن مدة غيبته استمرت تسعة أشهر "وورد يغمراسن إلى بلدة تلمسان وكانت غيبته تسعة أشهر وكان ليغمراسن بعد عودته التصرف في أهلها وأموالها..."[9]، فعرض أبو زكريا ولايتها على الجميع فامتنعوا منها خوفا من أمير المسلمين يغمراسن، وقال حينئذ "ليس لها إلا صاحبها"[10]. ونتيجة لغياب يغمراسن ظهرت أمه كوسيطة في عقد الصلح ومعاهدة

---

(1) تلمسان: يقول بن خلدون، أن تلمسان في زناتة مركب من كلمتين: تلم،سان ، ومعناها تجمع الاثنين البحر والبر، وهي قاعدة المغرب الأوسط وأم بلاد زناتة ، اختطها بنو يفرن ويزعم بعض العامة من ساكنيها أنها أزلية البناء. ينظر: عبد الرحمان، بن خلدون: تاريخ بن خلدون المسمى ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر، تح: سهيل، زكار، ج7، دط، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، 2007م، ص102.

(2) لسان الدين، بن الخطيب: اللمحة البدرية في الدولة النصرية، تص: محب الدين، الخطيب، دط، المطبعة السلفية القاهرة، 1929م، ص 34.

(3) يحيى بن خلدون: المصدر السابق، ص108.

(4) مفتاح، خلفات. حسيبة، عمروش: المرجع السابق، ص 58.

(5) سوط النساء: لم يكن اسمها الحقيقي بل صفة تدل على سطوتها وهيبتها ونفاذ أمرها. ينظر: عبد الرحمان، بشير: المرأة المغربية في نوازل أبي قاسم البرزلي، مجلة عصور الجديدة، ع11-12، جامعة وهران، الجزائر، فيفري 2014م، ص125-126.

(6) نفسه، ص125.

(7) أبو زكريا بن عبد الواحد بن أبي حفص: مؤسس الدولة الحفصية بويع في تونس سلطانا سنة 627هـ، فأبقى اسم المهدي في خطبته إلى أن خلع بيعة بني عبد المومن وأراد التوسع غربا. كان فقيها، عارفا، ظريفا. ينظر: أبي عبد الله محمد بن إبراهيم الزركشي: تاريخ الدولتين الموحدية والحفصية، تح: محمد، ماضنود، ط2، الناشر المكتبة العتيقة، تونس، دت، ص 24-25.

(8) محمد بن عبد الله بن عبد الجليل حافظ التنسي: تاريخ بني زيان ملوك تلمسان مقتطف من نظم الدرر والعقيان في شرف بني زيان، تح وتع: محمد آغا، بوعياد، دط، موفم للنشر، الجزائر، 2011م، ص 117.

(9) الزركشي: المصدر السابق، ص 29.

(10) التنسي: المصدر السابق، ص 118.

بينها وبين أبو زكريا على الجلاء مقابل الولاء، وإتاوة مالية قدرها ألف دينار [1]. ومن القرائن الدالة أيضا ما ذكره بن خلدون:" ووفدت أمه سوط النساء للاشتراط والقبول، فأكرم موصلها، وأسنى جائزتها، وأحسن وفادتها ومنقلبها"[2].

1-2-المصاهرات السياسية:

كان للمرأة الزيانية دورا فعالا في توثيق الصلات بين الزيانيين والحفصيين والمرينيين، لتخفيف الشدائد والأخطار عن طريق المصاهرة، ومن هذه النسوة نذكر:

-المصاهرة بين السلطان يغمراسن والسلطان أبي إسحاق الحفصي:

لقد حرص السلطان يغمراسن على تعزيز علاقاته، وربط صلة وثيقة بالسلطان أبي إسحاق الحفصي تفاديا لأي حرب محتملة بينهما[3]، فخطب ابنة السلطان الحفصي إلى بنه أبي سعيد عثمان[4]، وأرسل إلى الإتيان بها من تونس ولده أبا عامر وكانت سنة الخروج 681هـ/ 1282م[5].

وقد حرص السلطان يغمراسن على لقائها حفاية بها وبأبيها، فلقيها بمليانة، ولما عاد أدركه الأجل المحتوم بواد رهيو من الشلف في ذي القعدة سنة 681هـ/1282م [6].

-المصاهرة بين السلطان أبي حمو ووالي بجاية:

تعتبر من المصاهرات التي كان لها الأثر الطيب على وضع حد للحملات المتكررة التي شنها أبي حمو موسى الثاني (760هـ-791هـ/1359م-1389م) على بجاية سنة 765هـ/ 1364م وحصارها بهدف اخضاعها. وأمام عجز صاحب بجاية المولى أبو عبد الله الحفصي عن المقاومة والدفاع، عمل على تحسين علاقاته مع أبي حمو بإيجاد صيغة للتفاهم، فعرض عليه التنازل عن دلس ومصاهرته في بنته وتم ذلك سنة 767هـ /1366م، مقابل الهدنة والصلح[7].

---

(1) عبد العزيز، فيلالي: تلمسان في العهد الزياني (دراسة سياسية، عمرانية، اجتماعية، ثقافية)، ج1، دط، موفم للنشر، الجزائر، 2002م، ص22.

(2) بن خلدون: المصدر السابق، ج6، ص392.

(3) مفتاح، خلفات. حسيبة، عمروش: المرجع السابق، ص 60.

(4) أبي سعيد عثمان: بن يغمراسن بن زيان ولد سنة 639هـ/ وكان شهما، مقداما، محببا إلى القلوب ذا سياسة وصبر، بويع أوائل ذي الحجة سنة 681هـ/1282م. حارب القبائل فأخذ مازونة من أيدي مغراوة، وونشريس من أيدي توجين. حاصر السلطان المريني أبو يعقوب يوسف بن عبد الحق تلمسان في عهده، وأضاق هذا الحصار بأهل البلاد إلى أن توفي وعمره 64سنة. مدة دولته 20سنة غير شهر واحد. ينظر: يحيى بن خلدون: المصدر السابق، ص118-121.

(5) نفسه: ص 110.

(6) التنسي: المصدر السابق، ص 128.

(7) مفتاح، خلفات. حسيبة، عمروش: المرجع السابق، ص 60.

-الأميرة المغراوية:

لقد ساهمت هذه الرابطة الزوجية على توطيد العلاقة بين المغربين الأوسط والأقصى[1]، وقد أشارت المصادر على أنها حفيدة ثابت بن منديل " ولما هلك ثابت بن منديل سنة 694هـ/1295م، كما قلناه، كفل السلطان ولده وأهله، وكان فيهم حفيده راشد بن محمد، فاصهر إليه في اخته فانكحه إياها"[2].

كما كانت هناك مصاهرات ذو دور سلبي على الدولة الزيانية، كمصاهرة بين:

-السلطان أبي سعيد في ابنه الحسن، وبين أبي بكر بن أبي زكرياء الحفصي:

والسبب في ذلك هو أن أبو تاشفين عبد الرحمان بن أبي حمو ضايق بنو حفص واستولى على الكثير من ثغورهم، فلجأ السلطان أبو بكر بن أبي زكرياء الحفصي إلى تجديد الوصلة مع بني مرين والعودة إلى تونس والجلوس على كرسيه سنة 730هـ /1330م[3]. ولتوطيد الصلة أكثر، خطب أبي سعيد ابنة السلطان أبي بكر الحفصي لبنه الأمير الحسن، وانعقد الصهر بينهم في بنته فاطمة شقيقة الأمير أبي زكرياء[4] في فاس، حيث تزوجت خلال موكب فخم وولي العهد أبا الحسن علي بن السلطان أبا سعيد، وفجأت انقلب الوضع السياسي حيث رفض أبو تاشفين الخضوع لشروط السلطان المريني أبا سعيد ثم بنه أبي الحسن الذي خلف أباه (731هـ /1331م). وعلى هذا أصبح أبو تاشفين يواجه خصمين متفقين على تنسيق جهودهما شرقا وغربا[5].

وعلى إثر هذه المصاهرات نستطيع القول بأن أهمها كانت من أجل غلق الجبهة الشرقية الممثلة في الدولة الحفصية والتفرغ للجهة الأخرى (الدولة المرينية) التي كانت الحرب معها سجالا طويلا لا ينتهي.

ومن القرائن الدالة على الحضور النسوي في تسيير شؤون الدولة الاستشارة السياسية وكانت أكثرهن بروزا زوجة السلطان عثمان بن يغمراسن، التي اتخذت القرار المناسب خلال سماعها بخبر وفاة زوجها الذي كان أثناء الحصار المريني الذي أشار إليه بن خلدون بقوله :" أخبرني شيخنا العلامة محمد بن إبراهيم الآبلي، وكان في صباه قهرمان دارهم قال : هلك عثمان بن يغمراسن... قال: وجاء الخادم إلى قعيدة بيته زوجة السلطان أبي إسحاق بن الأمير أبي زكرياء بن عبد الواحد بن أبي حفص صاحب تونس، وخبرها

---

(1) نعيمة، بوكرديمي: صورة المرأة في العهد الزياني، مجلة المواقف للبحوث والدراسات في المجتمع والتاريخ، ع12، جامعة الشلف، الجزائر، ديسمبر 2017م، ص 67.

(2) ابن خلدون: المصدر السابق، ج7، ص 90.

(3) أبو العباس احمد بن خالد الناصري: الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى، الدولة المرينية، ج3، تح وتع: جعفر، الناصري، محمد، الناصري، دط، دار الكتاب، الدار البيضاء، 1997م، ص117.

(4) نفسه: ص 117.

(5) روبار، برنشفيك: تاريخ افريقية في العهد الحفصي من القرن 13هـ إلى نهاية القرن 15هـ، تع: حمادي، الساحلي، ج1، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، 1988م، ص180.

الخبر، فجاءت ووقعت عليه واسترجعت وخيمت على الأبواب سدادها، ثم بعثت إلى أبيه محمد بن أبي زيان[1] وموسى أبي حمو [2] فعزتهما عن أبيهما[3]".

إن قيام هذه المرأة بإخفاء خبر وفاة زوجها إنما يدل على مدى الذكاء والحنكة التي تمتعت بها، والتي عادت بالدرجة الأولى على السلطة، بفضل الاستشارة السياسية[4]، وانتظرت حتى حضرت مشيخة بني عبد الواد وعرضوا لهم مرض السلطان ليستفهم أحدهم عن الأمر مترجما عن القوم، فأخبرهم بنه أبو حمو عن وفاته فاجتمع بني عبد الواد على سلطانهم أبي زيان البن الأكبر، وقد استعجب يوسف بن يعقوب[5] من صرامة القوم[6].

1-3-الجوسسة ونظام الاستخبارات[7]:

لقد لعب نظام الاستخبارات دورا حيويا في الاستقرار والأمن، وكان نظام التجسس معروفا عند الدول الإسلامية المتعاقبة خاصة الخلافة العباسية التي كانت تستعمل الرجال والنساء والجواري لأغراض استخبارية ضد المناوئين والمعارضين للدولة في الداخل، وكانت الكتابة السرية أو الطريقة التي تسمى عند المتخصصين بعلم التعمية أهم الطرق الاستخباراتية وأسرعها، وهذه الطرق جميعها معروفة عند أمراء بني زيان وسلاطينهم[8].

وقد أشارت بعض المصادر التاريخية إلى إهداء أبو سعيد عثمان الزياني إلى السلطان أبي يعقوب جارية رومية وسيمة وأجزى لها رزق يبعثه لها كل حين على أن تعرفه بالأخبار [9].

---

[1] محمد بن أبي زيان: بن السلطان أبي سعيد عثمان، ولد بتلمسان سنة 659هـ/1261م، تولى الحكم سنة 703هـ/1304م. ينظر: بن خلدون: المصدر السابق، ج7، ص 167.

[2] موسى أبو حمو: بن السلطان سعيد عثمان بن يغمراسن، ولد سنة 665هـ /1266م، بويع بتلمسان بعد وفاة أخيه أبي زيان سنة 706هـ/1307م. ينظر: نفسه، ج7، ص 98. كان مشهورا بالحزم والشجاعة والتقوى وحب العمل وكان أبو حمو فظا غليظا لا يتأخر في معاملة أقربائه بشدة وبنه تاشفين كان ينال من هذه المعاملة القاسية نصيبا وافرا، فتحول الكره إلى والده إلى اتفاق مع الاعلاج لتدبير مؤامرة لأبيه، فكانت النهاية بقتله سنة 718هـ. ينظر: عبد الحميد، حاجيات: أبو حمو موسى الزياني حياته وآثاره، طبعة خاصة، عالم المعرفة للنشر والتوزيع، الجزائر، دت، ص16-17.

[3] ابن خلدون: المصدر السابق، ج7، ص 127.

[4] فوزية، كرارز: دور المرأة في الغرب الإسلامي من القرن 5هـ إلى منتصف القرن 7هـ، دراسة في التاريخ الحضاري والاجتماعي للغرب الإسلامي، تق: غازي جاسم الشموي، دار الأديب للنشر والتوزيع، وهران، الجزائر، دت، ص22.

[5] يوسف بن يعقوب: يكنى بأبا يعقوب أمه أم العز بنت محمد بن حازم العلوي، بويع في صفر سنة 685هـ/1286م. مات مقتولا في ضحى يوم الأربعاء 7 ذي القعدة 706هـ وله 66 سنة. دفن بشالة وكانت دولته 21سنة و9أشهر و25 يوما. ينظر أبو الوليد إسماعيل بن الأحمر: روضة النسرين في دولة بني مرين، تح: عبد الوهاب، منصور، دط، المطبعة الملكية، الرباط، المغرب، 1962م، ص21.

[6] بن خلدون: المصدر السابق، ج7، ص 127-128.

[7] نظام الاستخبارات والجوسسة: معناه جمع المعلومات الحربية خلسة عن العدو بغية استخدامها في قتاله بعدئذ، وقد عرف العرب القدامى التجسس في حروبهم منذ عهد الجاهلية وسموه إذكاء العيون ويطلقون على الجواسيس أنفسهم اسم العيون. ينظر: مفتاح، خلفات. حسيبة، عمروش: المرجع السابق: ص59.

[8] عبد العزيز، فيلالي: المرجع السابق، ج1، ص 25.

[9] أبي عبد الله محمد بن مرزوق التلمساني: المناقب المرزوقية، درا وتح: سلوى، الزاهري، ط1، منشورات وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، المملكة المغربية، 2008م، ص285.

وعندما بعث حاجب الدولة الزيانية أبي سعيد عثمان بن عامر بنه الخطيب رفقة الشيخ أبي إسحاق إلى السلطان أبي يعقوب المريني يحمل رسالة صلح بينهما يقول محمد بن مرزوق:" فلما وصلوا إلى مدينة فاس، طلب الخطيب من السلطان أن يخلوا به، فخلى به وفاوضه في الحديث، واطلعه على أسرار وتمادى في حديثه إلى أن وقع في سلطانه بقبيح من القول، وكانت الجارية واقفة خلف حجاب فكتبت إليه بمجلسه على التفصيل... فأدركته البلية، فقتل بعد وصوله إلى تلمسان قتلا شنيعا"(1). فكانت هذه الجاسوسة سببا في نكبة أسرة بن الخطيب.

وقد أشارت بعض الدراسات إلى أن أبو حمو موسى الثاني (664هـ-706هـ/1266م-1307م) كان من وصاياه في كتابه واسطة السلوك استخدام نظام التجسس ضد العدو في قوله : " اعلم يا بني أن العدو بالنسبة إلى الملك ثلاثة أقسام : عدو أقوى منك وعدو مساوي لك وعدو أضعف منك، أن يكون العدو أقوى منك فيجب أن تدافعه بنفسك، لأنه ليس من دهاءك ولا من كيسك، فمن رأيك الذي ينفع به عدوك ويرتفع به سموك ، أن تكون لك جواسيس في بلاد العدو يرتقبون أفعاله عن بعد والدنو ، وعيون تلاحظ أعماله، فكلما رام العدو خداعا، وأظهر فيك أطماعا جاءت الجواسيس بأخباره..."(2).

بالإضافة إلى هذا، قد أشارت المصادر التاريخية إلى استخدام اليهوديات في عمليات التفتيش بمدينة تلمسان وأسواقها "وحتى النساء يوكل بهن يهوديات يفتشهن، ويدخلن أيديهن إلى لحومهن"(3)، حتى لا يهربن السلع والبضائع دون دفع الضرائب، ومهما يكن من أمر بني زيان استخدموا النساء غير المسلمات في مجال الاستخبارات والضرائب من أهل الذمة (اليهود والنصارى)(4).

2-الحضور العسكري للمرأة الزيانية:

لم تتوقف مشاركة المرأة في الغرب الإسلامي على التدخل في الأمور السياسية السلمية بل تعداها إلى الأمور العسكرية، وقد أشارت دراسات إلى أن المشاركة القوية كانت للمرأة المرابطية مثل: زينب النفزاوية(5)، التي حظيت بمكانة رفيعة داخل الدولة المرابطية(6)، ولأن موضوعنا يتحدث عن المرأة الزيانية

(1) أبي عبد الله محمد بن مرزوق التلمساني: المصدر السابق، المناقب المرزوقي، ص284-285.

(2) عبد الحميد، حاجيات: المرجع السابق، ص246.

(3) محمد بن مرزوق التلمساني: المسند الصحيح في مآثر ومحاسن مولانا الحسن، درا وتح: ماريا خيسوس بيغيرا، تق: محمود، بوعياد، دط، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1981م، ص285.

(4) عبد العزيز، فيلالي: المرجع السابق، ج1، ص26.

(5) زينب النفزاوية (ت464هـ/1072م): بنت إسحاق من قبيلة نفزة، بربر طرابلس الغرب، عرفت بالجمال والرياسة، تزوجت يوسف بن تاشفين(404هـ)، وتعتبر من شهيرات نساء المغرب. ينظر: خير الدين، الزركلي: الأعلام -قاموس التراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين، ج3، ط15، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، 2002م، ص65.

(6) المرابطية (448هـ -541هـ/1056م-1147م): تنتسب هذه الدولة إلى قبيلة لمتونه، إحدى بطون صنهاجة، أعظم قبائل البربر، انتقلت الرئاسة إلى قبيلة جدالة بزعامة يحيى بن إبراهيم الجدالي ثم بنه إبراهيم بن يحيى الجدالي. زعيمها الروحي الفقيه عبد الله بن ياسين الجزولي، سقطت على يد الموحدين سنة (541هـ/1147م). ينظر: أبي عبد الله بن عبد العزيز البكري: المغرب في ذكر بلاد افريقية والمغرب وهو جزء من كتاب المسالك والممالك، دط، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة، دت، ص 164-166.

التلمسانية، فهذه الأخيرة قد كانت لها مشاركة في الحروب، سواء بصورة مباشرة أو غير مباشرة وذلك عن طريق القتال وإثارة الحماس والمنع والتخفيف[1].

2-1-القتال وإثارة الحماس:

أفادتنا المصادر التاريخية عن هذا الدور الذي اكتسب صبغة خاصة ومهمة، نظرا للتأثير النفسي العميق الذي تحدثه المرأة بصوتها وبعباراتها وبإشاراتها وتلميحاتها وبسلوكها...إلخ، في حركات الجيش وإقدامه على ساحة الوغى في المعارك ومجابهة الشدائد، والأخطار والأهوال. فكانت المرأة المغربية أثناء الرحلة تشد وتغني أعذب الألحان وتصدر أرق الأصوات النافذة إلى الأعماق لتحريك الهمم وإقادة الوجدان[2]، تفطن لها بنو زيان كما تفطن لها بنو مرين، وكان ذلك في معركة واد تلاغ[3]، التي خاضها السلطان يغمراسن وجيشه ضد بني مرين بقيادة السلطان يعقوب المريني[4]، وظهرت نساء كلا الفريقين خلف الجيوش في هوادج مبديات زينتهن ووجوههن وعليهن ثياب رائقة وحلل مرموقة [5]، كما أشارت إلى ذلك العديد من المصادر التاريخية الأخرى ، فذكر صاحب الذخيرة السنية :" يخرجون بجميع عيالاتهم ونجبائهم في زيهم وأن يظهروا قوتهم ليغيضوا بذلك أعدائهم"[6]، والناصري:" برز النساء في قباب على سبيل التحريش والتحريض"[7]، وبن خلدون :" وبرز النساء سافرات الوجوه على سبيل التحريش لحسن وسعد ورغين، يجيبن ويعدين ويرغبن "[8].

وعندما هاجم السلطان أبو حين المريني (697هـ-752هـ/1297م-1351م)[9] مدينة تلمسان، كانت النساء تخضن المعارك إلى جانب الرجال خلف الأسوار وتحثهم على المقاومة والصمود، وكانت في

---

(1) مفتاح، خلفات. حسيبة، عمروش: المرجع السابق، ص56.

(2) ابن الحاج، النميري: فيض العباب وإفاضة قداح الآداب إلى حركة السعيدة إلى قسنطينة والزاب، درا وإع: محمد، بن شقرون، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، 1999م، ص114.

(3) واد تلاغ (12جمادى الآخر660هـ/جانفي1267م): من أسباب هذه المعركة هو استعانة أبو دبوس خليفة الموحدين الذي انحصر ملكه في إقليم مراكش بيغمراسن بن زيان لمنازلة بني مرين، فسارع هذا الأخير إلى الاستجابة إلى الطلب أملا في إضعاف بني عمومته المرينيين الزناتيين، فأثار ذلك حفيظة يعقوب بن عبد الحق المريني، فترك حصار مراكش وسارع إلى تلمسان وكان اللقاء بين الجانبين عند واد تلاغ ودارت معركة من أعنف ما وقع بين القبيلتين ونزلت الهزيمة ببني زيان وقتل أبو حفص عمر بن يغمراسن بن زيان كبير أولاده وولي عهده. ينظر: ابن الأحمر: المصدر السابق، ص18-19.

(4) عبد العزيز، فيلالي: المرجع السابق، ج1، ص293.

(5) النميري: المصدر السابق: ص 115.

(6) مؤلف مجهول: الذخيرة السنية في تاريخ الدولة المرينية، اعتنى بنشر الكتاب: محمد بن أبي شنب، دط، الجزائر، 1920م، ص 146.

(7) أبو العباس بن خالد الناصري: المصدر السابق، ص26.

(8) ابن خلدون: المصدر السابق، ج7، ص239.

(9) أبو الحسن المريني (697هـ-752هـ/1297م-1351م): هو علي بن عثمان بن يعقوب المنصور بالله، يعرف عند العامة بالسلطان الأكحل، أمه الصالحة العنبر، مولده بتفرديون، بويع بفاس بعد وفاة أبيه (731هـ/1331م) توفي في جبل هنتانة ليلة الثلاثاء 27 ربيع الأول 752هـ، وله 60 سنة ودولته 20 سنة و03أشهر ويومين. ينظر: الزركلي: المرجع السابق، ج4، ص 313. أبو الوليد إسماعيل بن الأحمر: المصدر السابق، ص25.

نفس الوقت تهجو السلطان بني مرين، وتكيل له الشتائم[1]، فقال عند ذلك أبو الحسن:" الشتم حيلة المغلوب، ومعاذ الله أن تكون غريمتنا امرأة محمولة"[2].

هذا وقد عانت المرأة الزيانية مرارة السبي من طرف بني مرين وذلك بعد هزيمة يغمراسن في معركة إيسلي [3]على مقربة من وجدة[4]، وعاث القتل فيهم فقتل نحو 500 من الروم اللذين كانوا خدامه، وانتهبت بنو مرين محلة يغمراسن وسبوا نسائهم[5].

وفي صراعهم أيضا مع الحفصيين عند دخولهم إلى تلمسان في عهد يغمراسن بن زيان سنة (633هـ-681هـ/1236م-1282م) سنة 638هـ، عاثوا في البلد بقتل النساء والصبيان واكتساح الأموال[6].

2-2-المنع والتخفيف:

من المواقف الشجاعة التي تحسب لنساء السلاطين الزيانيين في فترة كانت تلمسان معرضة للحصار الطويل في نهاية القرن 7هـ/13م، والذي فرضه السلطان أبو يعقوب المريني[7]، وقد استمر أكثر من ثماني سنوات[8].سبب هذا الحصار ما قامت به الدولة الزيانية من ربط صلتها بخصومهم بالأندلس بملوك بنو الأحمر ومشاغبتها الدائمة على بني مرين، فضرب السلطان المريني على تلمسان سياج من أسوار بناها محيطة بها وجعل أبوابها مداخل لحربها ثم شرع أبو يعقوب في بناء المحلة المنصورة 698هـ/1299م ، فاشتد يومئذ الكرب ببنو زيان ونال منهم الجهد والعناء بما لا نظير له في تاريخ المغرب قبله ولا بعده، بل ولا في تاريخ غيره من الأمم[9].

ووصف بن خلدون حال بن زيان في قوله: " نالهم فيها من الجهد ما لم ينله أمة من الأمم، واضطروا إلى أكل الجيفة والقطط والفئران، حتى أنهم زعموا أنهم أكلوا فيها أشلاء الموتى من الناس. خربوا السقف للوقود وغلت أسعار الأقوات والحبوب... استهلك الناس أموالهم وموجودهم وضاقت أحوالهم "[10]،

---

(1) عبد العزيز، فيلالي: المرجع السابق، ج1، ص293.

(2) ابن مرزوق: المصدر السابق، المسند الصحيح، ص 184.

(3) إيسلي: واد يقع جنوب غرب مدينة وجدة على بعد نحو 180كلم، ومنها اشتهرت هذه المعركة، وتعرف هذه المنطقة أيضا بقصرها شيده الأفارقة في سهل يحيط به أراضي صالحة للزراعة، ويعرف الآن بقصر العاجة. ينظر: حسن بن محمد الوزان الفاسي: وصف افريقيا، تر: محمد، حاجي، محمد الأخضر، ج2، ط2، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، 1983م، ص12.

(4) وجدة: مدينة قديمة بناها الأفارقة على سهل فسيح جدا على بعد نحو 40 ميلا جنوب البحر المتوسط. أسسها زيري بن عطية المغراوي عام 384هـ-994هـ/994م-1586م، ونقل كرسي إمارته من فاس إليها. دمرت على يد السلطان المريني يعقوب المنصور في 670هـ /1272م. ينظر: نفسه، ص13.

(5) أبو إسماعيل الوليد بن الأحمر: المصدر السابق، ص49.

(6) محمد، بن عبد الرحمان الجيلالي: تاريخ الجزائر العام، ج2، ط2، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت، لبنان، 1965م، ص133.

(7) أبو يعقوب المريني: ولد سنة 638هـ/1241م، حكم ما بين 685هـ-706هـ/ 1286م-1307م، أخذ البيعة عن أبيه يعقوب بن عبد الحق، استقام أمره وصلح أمر الناس في أيامه وهو سادس الأمراء المرينيين، قاد حصار تلمسان الذي دام 8 سنوات. ينظر: الناصري: المصدر السابق، ج3، ص 66.

(8) مفتاح، خلفات. حسيبة، عمروش: المرجع السابق، ص 57.

(9) محمد، بن عبد الرحمان الجيلالي: المرجع السابق، ج2، ص139-140.

(10) ابن خلدون: المصدر السابق، ج7، ص128. وينظر يحي بن خلدون: المصدر السابق، ص125.

وقد بلغ من من مات بأهل تلمسان في هذا الحصار 120ألف إنسان، مم كان الوقع كبيرا في نفوس الشعراء، منهم أبو عبد الله محمد بن خميس[1] الذي كان مقيم بالمرية، فأساء ما حل به بأهل تلمسان من طول محنة واشتداد البلاء، فنظم قصيدة يقول فيها اشتياقا:

سَلِ الرِّيحَ إِنْ لَمْ تَسْعَدِ السُّفُنُ   فَعِنْدَ صِبَـاهُ مِنْ تِلِمْسَانَ أَنْبَـاءُ
وَفِي خَفَقَانِ البَرْقِ مِنْهَا إِشَـارَةٌ   إِلَيْكَ بِمَـا تَنْمِي إِلَيْهَـا وَإِيمَـاءُ
تَمُرُ اللَّيَالِي لَيْلَـــةً بَعْدَ لَيْلَـــةٍ   وَلِلأُذُنِ إِصْغَـاءٌ وَلِلْعَيْنِ إِيــلَاءُ
وَإِنِّي لَأَصْبُو لِلْصَبَا كُلَمَا سِيرَةٍ   وَلِلْنَّجْمِ مَهْمَا كَانَ النَّجْمُ إِصْبَـاءُ
وَأُهْدِي إِلَيْهَـا كُلَّ يَوْمٍ تَحِيَّــةً   فِي رَدِ إِهْـدَاءِ التَّحِيَــةِ إِهْـدَاءُ

ثم انتقل إلى الحديث عن حالها وهي تحت وطأة الحصار فقال:

لِعَشْرَةِ أَعْوَامٍ عَلَيْهَا تَجَرَّمْتُ   إِذَا مَا مَضَى قَيْظٌ بِهَا جَـاءَ إِهْدَاءُ
يَطْنُبُ فِيهَا عَابِثُونَ وَخَـرْبُ   وَيَرْحَـلُ عَنْهَـا القَّاطِنُـــونَ وَأَحْيَى
كَأَنَّ رِمَاحَ النَّاهِبِينَ لِمُلْكِهَـا   قُدَّاحُ وَأَمْـوَالُ المَنَـــازِلِ أَبْــدَاءُ
فَلَا تَبْغِينَ مُنَاخًـا لِرَاكِــبٍ   فَقَدْ قَلَّصَتْ مِنْهَـا ضِــــلَالٌ وَأَفْيَاءُ[2]

رغم هذه الظروف لم تكن نساء البلاط الزياني على هامش الأحداث، بل كان لهن موقف شجاع من خلال الدعوة على مواصلة المقاومة خلال الموت أو النصر. وأطلعتنا المصادر على موقفهن من خلال ما أورده بن خلدون: " وإذا بالخادمة دعد قهرمانة القصر من وصائف بنت السلطان أبي إسحاق وحظية أبيهم خرجت من القصر إليهم، فوقفت وحيتهم تحيتها وقالت: تقول لكم حظايا قصركم وبنات زيان حرمكم ما لنا وللبقاء وقد أحيط بكم وأسف عدوكم لإيهامكم ولم يبق إلا فراق بكيه لمصارعكم، فأريحونا من معرة السبي وأريحوا فينا أنفسكم وقربونا إلى مهالكنا والحياة في الذل عذاب والوجود بعدكم عدم"[3].

ورغم كل هذه الشدائد ثبت بني زيان اتجاه بني مرين مدافعين عن حرمهم بالمهج إلا أن جاءهم الفرج[4]، حين بلغهم موت السلطان المريني أبي يعقوب يوسف على يد خصي من مواليه لما طعنه بخنجر ببطنه، فاختلفت كلمة ولده أبي سالم المستقل بالمنصورة وحفيده ابي ثابت وأخيه أبي يحيى، وعلى إثر هذا انتهى الحصار [5].

---

(1) عبد الله محمد بن خميس: هو أبو عبد الله محمد بن عمر بن خميس التلمساني، ولد بتلمسان في 650هـ/1252م، اشتهر بالعلم والأدب والزهد وعلو الهمة، عارفا بالفنون والفلسفة والحكمة والنجامة، تولى رئاسة ديوان الإنشاء وأمانة سره في عهد السلطان أبو سعيد عثمان. عاش فقيرا بئيسا، وهو يعزو فقره وبؤسه إلى مهنة الأدب، فيقول:" يأبى ثراء المال علمي وهل يجتمع الضدان العلم والمال "، توفي مقتولا بغرناطة سنة 807هـ/1309م. ينظر: محمد، بن عبد الرحمان الجيلالي، المرجع السابق، ص159.

(2) هوارية، بكاي: العلاقات الزيانية المرينية سياسيا وثقافيا، مذكرة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ، جامعة أبي بكر بلقايد، تلمسان، الجزائر، 2008م، ص 201-202.

(3) ابن خلدون: المصدر السابق، ج7، ص129.

(4) محمد، بن عبد الرحمان الجيلالي: المرجع السابق، ص141.

(5) يحيى بن خلدون: المصدر السابق، ص 143.

يتضح من هذا أن النساء الزيانيات قد عانين من هذا الحصار وخوفا من القتل والسبي والاغتصاب، واتخاذهن موقفا شجاعا لاختيارهن الموت بدل الأسر.

ويمكن القول من خلال دراستنا لدور المرأة الزيانية في المجال العسكري والسياسي، تسجيل توجها خاصا ملمة بالشأن السياسي، كما لمسنا بعض أسماء لنساء برزن في المجال السياسي عكس المجال العسكري الذي لم نسجل فيه أسماء نساء، إلا أننا لاحظنا حضورها في الحروب والصراعات التي خاضتها الدولة الزيانية سواء مع الحفصيين أو المرينيين خاصة، التي كانت معهم الحرب سجالا طويلا لا ينتهي.

ونتيجة لهذه الصراعات عانت المرأة من القتل والسبي والاغتصاب فكانت أكبر المتضررين. هذا الوضع انعكس بالضرورة على المجالات الأخرى في حياتها اليومية.

الفصل الثاني

الحضور الاجتماعي والاقتصادي للمرأة التلمسانية الزيانية

1-الحضور الاجتماعي للمرأة التلمسانية الزيانية

1-1-مكانة المرأة بالمجتمع الزياني

1-2-عادات وتقاليد المرأة التلمسانية الزيانية

2-الحضور الاقتصادي للمرأة التلمسانية الزيانية

2-1-المرأة في المدينة

2-2-المرأة الريفية

تمهيد:

اعطى الإسلام للمرأة حقها ومكانتها الحقيقية، وأوضح واجباتها اتجاه زوجها وأسرتها، فجعل لها حق بين الرجال بحسن المعاشرة، لقوله تعالى: " يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا يَحِلُّ لَكُمْ أَن تَرِثُوا النِّسَاءَ كَرْهًا وَلَا تَعْضُلُوهُنَّ لِتَذْهَبُوا بِبَعْضِ مَا آتَيْتُمُوهُنَّ إِلَّا أَن يَأْتِينَ بِفَاحِشَةٍ مُّبَيِّنَةٍ وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ فَإِن كَرِهْتُمُوهُنَّ فَعَسَى أَن تَكْرَهُوا شَيْئًا وَيَجْعَلَ اللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا" [1]، كما أوصى الرسول صلى الله عليه وسلم بهن خيرا.

أما في نصف القرن السابع هجري تباينت مكانة المرأة في المغرب الإسلامي، ونخص بالذكر مكانة المرأة الزيانية، إذ لم تكن الحظوظ متساوية بين كل النساء، فقد ظهر التباين واضحا بين فئات المجتمع الزياني، ولكل فئة خصائصها ودورها، داخل أسرتها من حيث تربية الأبناء والاهتمام بهم. رغم هذا كانت للمرأة دور فعال أيضا في الحياة الاقتصادية للدولة الزيانية، سواءا الريفية أو المرأة في المدينة. هذه الأدوار ستكون محور دراستنا في هذا الفصل الثاني.

1-الحضور الاجتماعي للمرأة التلمسانية الزيانية:

1-1-مكانة المرأة بالمجتمع الزياني:

إن المجتمع الزياني كان يخضع لتقسيم فئوي التي أفرزتها الأوضاع الاقتصادية، الاجتماعية والثقافية[2]، فكان للمرأة في كل فئة وضع خاص بها.

1-1-1-المرأة لدى مجتمع الخاصة:

المقصود بالمجتمع هنا الفئة العليا، كالسلاطين، الأمراء، الوزراء، الكتاب بالدواوين المسندة إليهم، وقادة الجيش وهؤلاء أكثر شرائح المجتمع استفادة من الدولة، بحكم وظائف تسيير دواليب الحكم[3]. وبما أن موضوعنا يتحدث عن حضور المرأة الزيانية، فقد كان يشتمل البلاط الزياني نظام الحريم[4]، الذي كان يتألف من زوجة إلى أربعة زوجات حسب الشريعة الإسلامية، لقوله تعالى: "وَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تُقْسِطُوا فِي الْيَتَامَى فَانْكِحُوا مَا طَابَ لَكُمْ مِنَ النِّسَاءِ مَثْنَى وَثُلَاثَ وَرُبَاعَ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تَعْدِلُوا فَوَاحِدَةً أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ ذَلِكَ

---

[1] سورة النساء: الأية 19.

[2] خالد، بلعربي: تلمسان من الفتح الإسلامي إلى قيام الدولة الزيانية(55هـ-633هـ/675م-1235م)، ط1، دار الألمعية للنشر والتوزيع، قسنطينة، الجزائر، 2011م، ص271.

[3] نفسه، ص271.

[4] الحريم: ما حرم، فلا ينتهك وكل شيء ما تبعه، فحرم بحرمته من مرافق وحقوق، فحريم الدار ما أضيف إليها من حقوقها ومرافقها، وحريم البئر الموضع المحيط بها. ينظر: مجمع اللغة العربية: المعجم الوجيز، مطابع شركة الإعلانات الشرقية، دار التحرير للطباعة والنشر، ص149. وعرف مصطلح الحرمة، اصطلاح دارج على ألسنة العامة بمعنى امرأة الرجل، وهو منحوت لغة مما لا يحل انتهاكه في ذمة أو حق أو صحبة أو نحو ذلك. ينظر: مصطفى، عبد الكريم الخطيب: معجم المصطلحات والألقاب التاريخية، ط1، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، ص142.

أَدْنَى أَلَّا تَعُولُوا" [1]، بالإضافة إلى العبيد والجواري، وكان حريم السلطان يتألف من نوعين من النساء: الحرائر، الإماء[2] والجواري القائمات على خدمة القصور [3].

-المرأة الحرة:

وهي المرآة التي لم تؤسر طيلة حياتها، ولم تختطف من تجار الرقيق، ولم يتحصل عليها السلطان أو الأمير بالمال أو الهدايا، إضافة إلى أنها المرأة التي تتزوج بعقد شرعي، وكان لها الحرية الكاملة في اختيار شريك حياتها، وذلك إذا كانت بالغة عازبة، وما عليها إلا أن تصبر وتنتظر الزوج المناسب لها. كما كانت الزوجة في هذه الفئة تفرض إرادتها أحيانا على الرجل، فهي لم تكن قابلة للوضع التي تكون عليه، خاصة إذا كان سلبا عليها[4].

وبما أن القصر الزياني يعرف عددا من الخدم، يدعى رئيسهم بقهرمان القصر، عرفت خادمة بقهرمانة على النظر في خصوصيات القصر وكل ما تحتاج إليه عائلة السلطان[5]، إذ لم تكن مجبرة على القيام بالأعمال المنزلية، فكانت توكلها للجواري[6]. مثل الغسالة التي تطرق إليها الغبريني في حديثه:" حيث أن بعض السوداوات من غسالات الثياب كان على رأسها رزمة فأخذت لها في زحام فسارت إليه ضارعة مستغيثة، وأخبرته بقصتها، فقال لها: أنت ما تغسلين ثياب الفقراء، لو غسلت ثياب الفقراء ما ضاعت لك رزمة"[7]. والحاضنة التي عرفت في قصور الزيانيين، التي يطلق عليها اسم الدادة، تبدأ مزاولة عملها منذ فطام الطفل إلى غاية الكهولة، وقد تكون امرأة حرة تستأجر أو مسترقة[8].

وعرفت المرأة في هذا الوسط بالثراء على حساب الرعية، فقد كان يمنح لها ولي أمرها كل الخيرات والثروات التي يجمعها عكس الفئة الأدنى التي تزداد فقرا[9]، وهذا ما ذكرته لنا النوازل التي أوردها لنا البرزلي (738هـ-841هـ/1337م-1438م) في حادثة المرأة التي اشتكت زوجها من كثرة الأعمال المنزلية ووجع يديها من العجن، فأمر القاضي زوجها بشراء خادمة تخدمها، أما المرأة البدوية التي اشتكت من شدة خدمتها من الطحن وجمع الحطب ومشقة خدمة البادية، أمرها القاضي أن تبقى مع زوجها وتباشر عملها

---

[1] سورة النساء: الآية 03.

[2] الإماء: جمع أمة، تأمت المرأة صارت أمة، والأمة المرأة المملوكة خلاف الحرة، يقال يا أمة الله كما يقال يا عبد الله. ينظر: مجمع اللغة العربية المرجع السابق، ص 29.

[3] نعيمة، بوكرديمي: المرجع السابق، ص 67-68.

[4] نفسه، ص 67.

[5] مختار، حساني: الأوضاع الاجتماعية والاقتصادية للدولة الزيانية (633هـ-962هـ/1235م-1554م)، رسالة دكتواره، المعهد الوطني للدراسات التاريخية، جامعة الجزائر، 1986م، ص 131.

[6] نعيمة، بوكرديمي: المرجع السابق، ص 67.

[7] أحمد أحمد بن عبد الله أبو العباس الغبريني:" عنوان الدراية فيما عرف من العلماء في المائة السابعة لبجاية، تح: عادل مويهض، ط2، دار الآفاق الجديدة، بيروت، لبنان، 1979م، ص178.

[8] نجلاء، سامي النبراوي: المرأة العاملة بالمغرب والأندلس، دراسة تاريخية وثائقية، الألوكة للنشر، دت، ص18.

[9] نعيمة، بوكرديمي: المرجع السابق، ص67.

على ذلك، لأن نساء البوادي دخلن على ذلك[1]. وأوضحت هذه الفتوى على أنها راعت عادة المجتمعات وطبيعة أهلها، فلم تعطي حكما واحدا لمشكلة بعينها وإنما أخذت عادات المجتمع وطبيعته[2]. فالمرأة ككائن اجتماعي وبشري، كانت لها حقوق تحفظ كرامتها ومنزلتها لدى مجتمع الخاصة، غير أن الواقع الذي حظيت به المرأة الزيانية الحرة، لم تحض به مثيلتها المرأة البدوية[3].

وقد أعطى لنا ابن حزم الأندلسي صورة عن وضع المرأة داخل مجتمع الخاصة: " ... وما أعلم علة، تمكن هذا الطبع من النساء، غير أنهن متفرغات البال من كل شيء، إلا من الجماع ودواعيه والغزل وأسبابه والتآلف ووجوهه، لا شغل لهن غيره ولا خلقن لسواه...، ولقد شاهدت النساء وعلمت من أسرارهن ما لا يكاد يعلمه غيره، لأنني ربيت في حجورهن ونشأة بين أيديهن"[4].

لكن هل هذا الوضع يمكن لنا أن نطبقه على المرأة الحرة في المجتمع الزياني؟ ومن بين النساء اللواتي ينتمين إلى هذه الفئة:

*الأميرة سوط النساء: هي والدة السلطان يغمراسن، سعت في أمر الصلح بين ابنها والسلطان الحفصي أبي زكرياء بعد استلاءه على مدينة تلمسان مقابل رجوع ابنها إلى السلطة[5].

*حنينة الزيانية: ابنة سوط النساء، وأخت يغمراسن أبن زيان، قتل ابنها عبد الملك ابن حنينة ابن محمد ابن علي ابن قاسم ابن درم بمعركة واد تلاغ[6].

*شمسة: هي ابنة الفقيه مؤمن الزواغي، من العائلة الحاكمة، تلقب بالحرة، ولا تنتمي إلى بني عبد الواد، ولمنها تقترب إليهم بالنسب، وهذا ما أهلها إلى أن تكون ضمن بنات العائلة الحاكمة.

*العالية الحرة: هي ابنة الأمير عمر ابن أبو حمو حفيد السلطان أبو حمو الثاني[7].

بالإضافة إلى أسماء نساء أخريات انتمين إلى هذه الفئة الحاكمة، سواء زيجات سلاطين أو بناتهم الأميرات[8].

---

(1) البرزلي أبي القاسم ابن احمد البلوي التونسي: فتاوى البرزلي جامع مسائل الأحكام لما نزل من القضايا بالمفتين والحكام، تق وتح: محمد الحبيب، الهيلة، ج2، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، 2002م، ص359-360.

(2) عبد الرحمان، بشير: المرجع السابق، ص125-126.

(3) نعيمة، بوكرديمي: المرجع السابق، ص67.

(4) ابن حزم أبي محمد علي ابن أحمد ابن سعيد: طوق الحمامة في الألفة والآلاف، تح: حسن، كامل الصيرفي، تق: إبراهيم، الأبياري، دط، دون دار نشر، 1950م، ص50.

(5) روبار، برنفشيك: المرجع السابق، ص60.

(6) ابن خلدون: المصدر السابق، ج7، ص114.

(7) نعيمة، بوكرديمي: المرجع السابق، ص 68.

(8) من بين هؤلاء النسوة نذكر، تاحضريت الزيانية: بنت السلطان أبي حمو، حفيد السلطان أبي حمو الثاني. ملوكة: زوجة السلطان أبي عبد الله محمد، تولى الحكم سنة 866هـ/1462م. فاطمة: بنت الشيخ عبد الله ابن خالد (ت 867هـ/1462م)، دفنت بمقبرة سلاطين ابن زيان، دلالة على مكانتها. ينظر: نفسه، ص 68.

-الإماء والجواري:

هي المرأة المملوكة تعرف بالوصيفة والخادمة وسرية، تباع وتشترى في سوق العبيد أو النخاسة، كانوا موجودين بنسبة كبيرة في المغرب الأوسط، وارتبطوا بالفئة الأولى الحاكمة أو الخاصة، نظرا لملائمتهم لها[1]. هذه التجارة انتشرت في أسواق خاصة داخل المغرب الإسلامي، مثل سوق المهدية، ومصدر الجواري بلاد الفرنجة والصقالبة، وممالك اسبانيا وبلاد السودان[2].

وقد أشارت المصادر إلى وجود جاريات داخل القصر الزياني، وهذا ما أوضحه الحسن الوزان:" ويخدم الملك داخل القصر جاريات مسيحيات وعدد كبير من الخصيان الساهرين على الحريم"[3]. وكان دورهن القيام بأمور القصر من خدمات التنظيف بإشراف امرأة عليهن عرفت بقهرمانة القصر وأشهرهن القهرمانة دعد[4]، التي تطرقت المصادر إلى ذكرها.

كما كان ملوك وأمراء تلمسان يقومون باقتناء الجواري ذات الحسن والجمال حريما لهم. أما الجواري الروميات فكن للعمل أو المتعة[5]. وتحدثت المصادر عن جارية حبشية ذكرها أبي عبد الله محمد الخطيب ابن مرزوق أهداها له السلطان أبي الحسن:" يا علال كيف هي الجارية الحبشية التي تخلفها عبد المهيمن واشتريناها من تركته، وهي من تربية ابن خلدون"[6]، وهذا ما يؤكد لنا أن الجواري، كن يهدين أو يبعن مثل مقتنيات البيت الأخرى. كما تمتعت بعض الجواري بموهبة الغناء، إذ يذكر الونشريسي أن رجلا من أهل المغرب كان يمتلك جارية تغني في الأعراس، مقابل أجر معلوم، ويضيف أنه لم يكن يجوز لمولاها أن ينتفع بأجرها، وكان عليه أن يتصدق بهذا المال، إذا ما توفيت[7].

وتطرق الشعراء في شعرهم إلى جواري الغناء منهم، أبي عبد الله محمد ابن يوسف الثغري، كاتب سلطان تلمسان، أبي حمو موسى ابن يوسف الزياني، في قوله " البسيط":

تُسَلِيكَ فِي دَوَحَاتِهَـا وَتِلاَعِهَـا ... نَغْمَةُ البَلاَبِـلِ وَإِطْرَادِ الجَدْوَلِ
وَبِرَبْوَةِ العُشَّـاقِ سَلْوَةُ عَـاشِقٍ ... فَتَنَتْ وَأَلْحَـاظُ الغَزَالِ الأَكْحَلِ
بِنَـوَاسِمَ وَبَـوَاسِمَ زَهْرِهَـا ... تَهْدِيكَ أَنْفَاسًـا كَعُرْفِ المَنْدَلِ
فَلَوْ امْرُؤُ القَيْسِ ابْنُ حِجْرٍ رَآهَا ... قَدْ مَا تَسَلَّى عِنْدَ مَعَاهِدِ مَأْسَلِ[8]

---

(1) نعيمة، بوكرديمي: المرجع السابق، ص 69.

(2) بسام كامل عبد الرزاق شقدان: تلمسان في العهد الزياني، رسالة ماجستير، جامعة النجاح الوطنية، نابلس، فلسطين، 1422هـ/2002م، ص158.

(3) حسن، الوزان: المصدر السابق، ج2، ص22.

(4) سميرة، نميش: دور أهل الذمة بالمغرب الأوسط خلال العهد الزياني من القرن 7هـ-10هـ/13م-16م، رسالة ماجستير، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة أبو بكر بلقايد، تلمسان، الجزائر، 2014/2013م، ص50.

(5) عبد العزيز، فيلالي: المرجع السابق، ج1، ص 239.

(6) ابن مرزوق: المصدر السابق، المسند، ص489.

(7) كمال، أبو مصطفى: جوانب من حضارة المغرب الإسلامي من خلال نوازل الونشريسي، ط1، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية، مصر، 1998م، ص 36.

(8) المقري أحمد ابن محمد التلمساني: نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، تح: إحسان عباس، مج7، دط، دار الصادر، بيروت، لبنان، 1961م، ص 126.

كما عرفت جارية أخرى ذكرت في شعر لسان الدين ابن الخطيب (713هـ-776هـ/1314م-1375م)[1] في مدح تلمسان، وهي أم حنينة أم يحيى، وكانت جارية بقصور السلطان، وسميت عليها عين ماء من أعذب المياه وأخفها " البسيط":

وَإِذَا حُنَيْنَةُ أُمُ يَحُيَى أَنْجَبَتْ فَلَهَا الشُوفُ وَعَلَى العُيُونِ العَيْنُ[2]

وتطرق أحد الباحثين إلى ذكر ما كان يحدث من التسري بين الجواري وسلاطين الدولة، فالمستندات الأوربية تؤكد لنا أن السلطان أبا زيان ابن جارية مسيحية[3]. وقد تفشت في وسط جواري القصر ظواهر سيئة، تتمثل في اطلاع بعض الفاسقات على محاسن الأخرى، من تحريك شهوة التفاعل، التي تختار بعضهن لذته عن مباضعة الرجل[4]. وأعيت هذه الظاهرة السلطان المتوكل على الله (866هـ/1462م)، لكثرة ذلك الفعل في قصره، فقام بمعاقبتهن، كما أصدر الفقهاء فتوى بتعذيبهن دون التمثيل بهن[5]. أما بخصوص الزواج، فقد عرف مجتمع الخاصة ما يعرف بالمصاهرات السياسية (المذكورة سابقا)

1-1-2-المرأة لدى مجتمع المدينة:

ضم هذا المجتمع فئة الفقهاء والعلماء والأدباء، وقد ظهروا على مختلف مشاربهم في بلاد المغرب الأوسط لحاجة دولة بني زيان لخدمتهم، وقد نالوا تكريما عظيما من قبل سلاطين بني زيان، تناول بعضهم مسؤوليات كبرى في جهاز الدولة. ويمكن أن نصنف ضمن هذه الفئة كبار التجار وأرباب الحرف وأصحاب رؤوس الأموال الكبيرة. هؤلاء التجار نالوا مكانة مرموقة بالمجتمع الزياني ويشتهرون بلباسهم الجميل[6].

وحياة المرأة في هذه الفئة لا تختلف كثيرا عن حياة المرأة في مجتمع الخاصة، ضمت هذه الفئة عددا من الجواري والخدم، خاصة عند الأسر ذات الأموال والجاه. فقد كانت تمتلك هذه الأسر أكثر من خادم، والجواري ترافق زوجة سيدها إلى السوق وتحمل الأولاد على كاهلها، كما يرافقون أسيادهم في سفرهم وترحالهم لخدمهم ومساعدتهم[7].

عرفت الأسر ميسورة الحال من التجار التي تمتلك عدد كبير من الجواري عملية إسقاط الأجنة نتيجة المعاشرة غير الشرعية معهن، فكان السيد يفرض على الجارية تناول بعض الأدوية لإسقاط الجنين

---

[1] لسان الدين، بن الخطيب: هو محمد بن عبد الله بن سعيد بن علي بن أحمد السلماني، ولد بلوشة بالقرب من غرناطة، في 25 رجب 713هـ، وبيت لسان الدين بيت شرف ودين وسياسة ونفوذ، كما كان يعرف ببيت الوزير، ولقب ببيت الخطيب لأن جده الأعلى لسان الدين كان أهل علم ودين خطيبا بلوشة، فعرف هذا البيت منذ ذلك اليوم ببيت الخطيب، وأبوه انتقل إلى غرناطة وخدم ملوك بن الأحمر، مما أثر في شخصية لسان الدين بن الخطيب، فكان كاتبا وشاعرا ودرس الطب وصناعة التعدين. خلف مؤلفات جمة من أهمها: الإحاطة في أخبار غرناطة، نفاضة الجراب في علالة الاغتراب، مفاضلة مالقة وسلا. توفي سنة 776هـ. ينظر: لسان الدين، بن الخطيب، المصدر السابق، ص2-4.

[2] المقري: المصدر السابق، ص129.

[3] مختار، حساني: المرجع السابق، دكتوراه، ص 130.

[4] أبي عبد الله محمد بن أحمد بن قاسم سعيد العقباني التلمساني: تحفة الناظر وغيبة الذاكر في حفظ الشعائر وتغيير المناكر، تح: علي، الشنوفي، مأخوذ من: منشورات الدراسات الشرقية للمعهد الفرنسي بدمشق، سوريا، مج19، 1967م، ص 72.

[5] عبد العزيز، فيلالي: المرجع السابق، ج1، ص 231.

[6] خالد، بلعربي: المرجع السابق، ص273-274.

[7] عبد العزيز، فيلالي: المرجع السابق: ج1، ص224.

وهي محرمة شرعا[1]. وتطرق لهذه الظاهرة الونشريسي في نوازله: " فلا يجوز حينئذ التعرض له بالقطع مع التولد، كما يفعل سفلة التجار في سقي الخدم عند إمساك الطمث الأدوية التي ترخيه فيسيل المني منه فتنقطع الولادة"[2].

أما عن أسر أهل العلم والفكر، فإن المرأة جعلت عملها ينحصر داخل البيت كالقيام بالواجبات المنزلية كخدمة الزوج وإنجاب الأولاد وتربيتهم ورعايتهم خاصة عند غياب الزوج أو وفاته، وهذه المسؤولية أبرزتها لنا المصادر في ترجمتها للعلماء[3]. فجاء في ترجمة بن مرزوق أن والده تربى في حجر جدته ولما توفيت وهو صغير كفلته أخته زينب وبقي معها إلى أن خرج أثناء الحصار الطويل لتلمسان، كما تطرق لفضل جدته في تربيته: " وهي ربتني، فإن أمي رحمها الله تعالى توفيت وخلفتني أثناء الفطام... ولا أعرف غيرها في التربية"[4]، وذكر ذلك بن مريم في ترجمته لابن مرزوق(846هـ-899هـ): " فبقيت بعون الله بين جدتي الفقيه أم البنين حتى بلغت العشر وحفظت القرآن، فأدخلتني الصنعة فتعلمت صناعة الطرز "[5].

نستنتج أن أسر العلم والفكر والفقه، كانت تولي اهتماما كبيرا بصلة الأرحام، وتحاول دائما التكفل بتربية أبنائها من علم وصنعة، خاصة بعد وفاة أحد الوالدين أو كلاهما.

تمتعت الزوجة على زوجها بحجة "تتعوج عليه حتى يستقيم هو" وي قصة أحد فقهاء المغرب الأوسط دليل على ذلك، عندما ذهب إلى شيخه يشتكي إليه سوء صنيع زوجته، التي لطمته وهي تعجن وفي وجهه آثار العجين، أشار شيخه إلى عنقه وقال:" ضربتني زوجتي البارحة بالمقلاة فصارت قلادة في عنقي"، لأن الزوج يكيد لزوجته، فيحلف "ليشغلن سرها"، ويغيظها بالسفر وتركها[6]. وما يلاحظ هنا أن المرأة تصر على حضورها وكينونتها بوضعها لشروط لفرض احترامه لها.

وقد خضعت هذه الفئة في الكثير من الأحيان إلى المصاهرة الفئوية، فنرى الأسرة العريقة تتقدم لمثيلتها في المال والجاه والعلم[7]، كبيت علماء المرازقة الذي أنجب ثمانية علماء الذي كان أكثر بيوتات العلماء عددا، كان منهم محمد بن مرزوق بن الحاج التلمساني المكنى بأبي عبد الله، وصفه ابن مرزوق الخطيب قائلا: " العالم الولي بركة هذا البيت"[8]، وتطرق إلى ذكره بن مريم في ترجمته له: " قيرواني الأصل ولد في 629هـ، نشأ في بيت أهل صلاح وعلم ودين وهو من الصلحاء الزاهدين والعاملين"[9].

---

[1] عبد العزيز، فيلالي: المرجع السابق، ج1، ص230.

[2] أبي العباس أحمد بن يحيى، الونشريسي: المعيار المعرب والجامع المغرب عن فتاوى أهل افريقية والأندلس والمغرب، تح: محمد حاجي وآخرون، ج4، دط، نشر وزارة الأوقاف للملكة المغربية، 1981م، ص 236.

[3] نعيمة، بوكرديمي: المرجع السابق، ص70.

[4] ابن مرزوق: المصدر السابق، المناقب، ص194.

[5] عبد الله بن محمد بن محمد بن أحمد بن مريم: البستان في ذكر الأولياء والعلماء بتلمسان، مرا: محمد بن شنب، دط، مطبعة الثعالبية، الجزائر، 1908م، ص45.

[6] عبد الرحمان، بشير: المرجع السابق، ص127.

[7] عبد العزيز، فيلالي: المرجع السابق، ج1، ص288.

[8] نصر الدين، بن داود: بيوتات العلماء بتلمسان، رسالة دكتوراه، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة أبو بكر بلقايد، جامعة تلمسان، الجزائر، 2010/2009م، ص 92.

[9] ابن مريم: المصدر السابق، ص226.

ونظرا لتقواه وعمله الصالح تمنى كل واحد عرفه مصاهرته، فكان الحظ من نصيب الفقيه أبي عبد الله الكتاني، الذي صهر إليه ابنته. والكتاني كبير البلد وصاحب المشورة وهو المفوض إليه من قبل ملوك الموحدين[1].

كما تزوج أبو العباس أحمد بن مرزوق، وهو والد بن مرزوق الخطيب من ابنة العالم أبي إسحاق التنسي، وتم العقد ونفقة الزواج على يد السلطان أبي يعقوب المريني.[2]

أما الفئة العامة، فالطابع العام للأسرة فهو السائد، من حيث مركز الأب ونفوذه على زوجته وأبنائه، واحترام الزوجة لزوجها، والأبناء لوالدهم. لذلك فإن المجتمع الزياني يعتمد كثيرا على الذكور، فالأب هو المسؤول عن الأسرة ويقوم برعاية الأسرة في غياب الأب العم أو الابن الأكبر أو أقرباء الأسرة من الذكور. وبداخل المنزل الأم أو الأخت الكبرى هي صاحبة الأمر والنهي[3]. وعملت المرأة في هذه الفئة لكسب محبة زوجها، ومعاونته فيما يعانيه بالعمل داخل المنزل وخارجه[4] ويبدو أن المرأة كانت تعمل على خلق بيئة من المودة والرحمة والمحبة داخل البين الزوجي، وفي هذا الصدد سعت لكسب ود زوجها، بجميع الطرق والأدوات الممكنة، وفي مقدمتها اللعب بورق المساعدة المادية للزوج[5]، من خلال ممارستها لبعض الحرف البسيطة كحرفة النسيج بمختلف أنواعها، كنساء بني سنوسن، اللواتي اشتهرن بصناعة الحصير[6]. كما اختصت النساء بإعداد الخبز وإن اختلف أهل المدينة عن أهل البادية، فكانت المرأة في المدينة تذهب بالدقيق إلى الفرن وتعود به خبزا، أما نساء أهل البادية والريف فقد تضاعف جهدهن إذ قمن بالتقاط السنابل من حقول القمح بعد الحصاد، وساعدن في فصل الحبوب من السنابل، نهيك عن طحنه وإعداد الخبز منه في أفران بيوتهن[7].

تميزت سلوكيات بعض النساء – على قلتهن–باللجوء إلى أشكال من الممارسات الغيبية، كالسحر من أجل كسب محبة أزواجهن وإيجاد أزواج يحبونهن رغم أنفهم. في هذا الصدد وردت فتوى من فقهاء المغرب حول حكم " من يشتغل بضرب الحظ وغيره من أنواع الكهانة" كما تتضمن ذات الفتوى ما يفيد شيوع ما يعرف بكتاب المحبة والبغض ومعالجة عقدة ربط العروس بالسحر[8].

حظيت الفئة الضعيفة في هذا المجتمع باهتمام السلاطين الزيانيين، وحسبنا في ذلك ما قام به السلطان أبو حمو موسى الثاني (860هـ/1359م)، مد يد العون بتقديم الجرايات لهم في مختلف المناسبات، والاستماع لانشغالاتهم مرة كل أسبوع. كما وجدت برمستانات في عهد أبي تاشفين (817هـ/1317م) ضم

---

[1] نصر الدين، بن داود: المرجع السابق، ص 93-94.

[2] نفسه: ص 96.

[3] مختار، حساني: تاريخ الدولة الزيانية، الأحوال الاجتماعية، ج3، دط، منشورات الحضارة، الجزائر،2009م، ص 197.

[4] نعيمة، بوكرديمي: المرجع السابق، ص70.

[5] إبراهيم قادري، بودشيش: الحب في العلاقات الزوجية بالعائلة المغربية خلال العصر الوسيط (مساهمة في دراسة تاريخ المشاعر الإنسانية القرن 5-6هـ/11-12م)، مجلة عصور الجديدة، ع5، جامعة وهران، الجزائر، 2012م، ص34.

[6] نعيمة، بوكرديمي: المرجع السابق، ص70.

[7] عبد الرحمان، بشير: المرجع السابق، ص132.

[8] إبراهيم قادري، بودشيش: المرجع السابق، ص 36.

فيه المرضى من الفئة العامة يأتيهم رزقهم بكرة وعشية شتاء السنة[1]. وفي زمن المجاعة تعرضت النساء للاسترقاق والاستعباد مفادها أن رجلا باع مملوكة له في زمن المسبغة ثم تبين أنه باع ابنته، واستنكر الفقهاء هذه الظاهرة بشدة واعتبروا بيع الأب لأولاده زمن المجاعة من الأمور المحرمة شرعا[2].

كما عرفت هذه الفئة زواج الأقارب، فكان الزوج يتحرى في اختيار الزوجة، والعادة في الغالب تكون من بنات الأسرة ذوي القربى، سواءا من جهة الخؤولة أو العمومة. في حين رفضت بعض أسر الزواج من الأقارب، خوفا من الآثار التي قد يسببها على الذرية، ودفعهم إلى قول "بَعَّدْ مَنْ دَمَّكْ لاَ يْطِيلَكْ"[3]، وحسبنا في ذلك ما تطرقت إليه النوازل، نلمس زواج الأقارب منها:

-زواج من ابنة العم: " سأل رجل فاضل عالم له ابنة خطبها أخوه البار به المشفق عليه ليزوجها ولدا له من أهل العلم والخير... ولأبي الصبية ولدان مشهوران بالعقوق بأبيهما، فإتمام الأمر برأييهما".

-زواج من ابنة الخالة: تقول النازلة: " من خطب ابنة خالته من أبيها فأجابه إلى ذلك واشتهر بين الناس ذلك، ثم توفي الزوج"[4].

نستنتج من هذه النوازل أن المجتمع الزياني يقوي العلاقات الأسرية عن طريق الزواج بين الأقارب، من أجل منع تشتت أفراد العائلة، والتقليل من المشاكل التي تسبب الطلاق، بالإضافة إلى أن زواج الأقارب يمنح البنت المعاملة الحسنة والاحترام.

1-2-عادات وتقاليد المرأة التلمسانية الزيانية:

1-2-1-آداب الخطبة والزواج:

الزواج في الإسلام نصف الدين، قال تعالى: "وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِّتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ"[5]. بينت هذه الآية أن الزواج يؤدي إلى المودة والرحمة ويبعث بالطمأنينة بين الزوجين، من خلال حب الزوج لزوجته والعطف عليها. كما لكتب النوازل العديد من الحقائق والإشارات المتعلقة بأمور الزواج والحياة الأسرية المتمثلة في:

-الخطبة:

هي مقدمة تمهيدية للزواج أساسها التعارف، وقد أجيز للفتى أن يلاحظ الفتاة ويتساءل عنها ويراها خلسة أو علنا قبل الإقدام على الخطبة[6]. وعرفت في هذا الإطار المرأة الخاطبة، التي كانت تقوم بدور

---

(1) بختة، خليلي: دور بعض السلاطين والفقهاء والوجهاء الزيانيين في مواجهة ظاهرة الفقر بالمغرب الأوسط، مجلة الأكاديمية للدراسات الاجتماعية والإنسانية، ع15، جامعة معسكر، الجزائر، جانفي 2016م، ص 27-28.

(2) سمية، مزدور: المجاعات والأوبئة في المغرب الأوسط (588هـ-927هـ/1192م-1520م)، رسالة ماجستير، جامعة منتوري، قسنطينة، الجزائر، 2009/2008م، ص 220.

(3) عبد المالك، بكاي: المرجع السابق، مقال، ص69.

(4) الونشريسي: المصدر السابق، ج3، ص161-162، 247.

(5) سورة الروم: الآية 21.

(6) مختار، حساني: المرجع السابق، دكتوراه، ص180.

هام في إتمام الخطوبة وعقد الزيجات، حيث تتولى التمهيد للاتفاق بين أهل العروسين، فيذهب أهل الزوج إلى منزل العروس للتحدث مع أهلها والاتفاق معهم على كل ما يتعلق بالزواج من صداق أو هدايا وما إلى ذلك[1].

-عقد القران:

هذا العقد لا يتم في المدينة إلا بموافقة القاضي بعد موافقة والد الفتاة على ذلك، ثم يدعو الخاطب أصدقاءه للاجتماع في المسجد، يصطحب معه كاتب عدلا يقوم بتسجيل العقد وتحرير شروط المهر. أما العائلات الغنية، فكانت تستدعي القاضي للمنزل لكتابة العقد بعد موافقة الطرفين وبحضور أعضاء العائلتين[2].أما أهل الريف والبادية، فتتم الخطبة بحضور كبار القرية اللذين يتدخلون حتى في تحديد شروط المهر[3]ولم يكن للمرأة رأي يؤخذ في الزواج[4]. كما سأل الونشريسي في نازلة " عن الحسم الذي ثبت بالبادية لا يصح العمل به فأجاب أن الرسم الذي ثبت في البادية لا يصح العمل به، لما علم من مسدد البادية من قلة المعرفة وضعف الدين، وغير ذلك مما يمنع من الوثوق بهم، ولو سلم صحة الرسم الذي ثبت بالبادية لم يصح الحكم به ولن يمكن الزوج من المرأة. إذ هي في عصمة الرجل الذي ثبت نكاحه فالرسم الذي ثبت بالحاضرة"[5].

كما تطرقت النوازل أيضا إلى بعض الشروط التي وضعتها النساء خلال العقد منها: " من زوج ابنته وشرط عليه أن يجلبها من المهدية إلى قفصة، فأجاب النكاح جائز والشرط لازم على الأب الإتيان بها". وفي نازلة أخرى: " من تزوج ماشطة وشرطت عقد النكاح ألا يمنعها من صنعتها، فأجاب لا يلزمه الوفاء بالشرط، قيل إن كانت صنعتها لا تجوز فواضح، وإن كانت جائزة فتجري على مسألة إذا اشترطت ألا يخرجها من بلدها، وظاهر المدونة عدم اللزوم، واستحب غير واحد الوفاء للحديث"[6].

المهر:

وهو مقدار من المال أو المتاع يقدمه الرجل إلى المرأة رغبة في الاقتران بها وإقباله التام عليها، والمال حق خالص للفتاة، وفي المجتمع الزياني مرتبط بالناحية الطبقية[7].

غير أنه كانت تحدث أحيانا بينهم اختلافات حول قيمة المهر أو الصداق، وغالبا ما ينقسم إلى معجل ويمسى مقدم ومؤجل أي مؤخر[8]. كما أمدنا الونشريسي قيمة تبين صداق إحدى الزيجات: " رجل تزوج امرأة بكرا منذ سبعة أشهر سلفت وبنى بها حينئذ، وكان نقدها خلاخل فضة قيمتها عشرة دنانير ذهبا،

---

[1] كمال، أبو مصطفى: المرجع السابق، ص 31.

[2] مختار، حساني: المرجع السابق، دكتوراه، ص 181.

[3] نفسه، ص 181.

[4] عبد المالك، بكاي: المرجع السابق، مقال، ص69.

[5] الونشريسي: المصدر السابق، ج3، ص 99.

[6] نفسه، ص 275-278.

[7] مختار، حساني: المرجع السابق، دكتوراه، ص183.

[8] كمال، أبو مصطفى: المرجع السابق، ص11-12.

وأقراص ذهب من دينارين، وعقد جوهر قيمته ستة دنانير ذهبا، وشقة كتان بلدية الصنع، وفضله خام، ووقاية شرب من نصف رطل، وكنبوش حرير، وثوب زردخان، وملحقة قطن، وهدية طعام"[1].

أما عن عادات البوادي فإنهم لا يسمون صدقاتهم ولا يشهدون عليها وقت العقد، لكن عند الابتناء والصداق عندهم معروف مقدر لا يزاد لجمال ونحوه ولا ينقص لقبح وغيره، ومن كان له يسر وربما دفع المعجل عند التعريس، أما المؤجل فلا يطلب به إلا بعد موت أو فراق[2]، أما عن موعد الزفاف فلا يتم إلا ند تجهيز العروس ونستدل من إحدى النوازل على أن هناك من وهب ابنته خمسين رأسا من الغنم ونصف كرمه من أجل جهازها، كما يمكن للمرأة أن تتجهز من صداقها وتشتري كسوة تلبسها عند زوجها، إذا رغب الزوج ألا يكسوها إلا من الصداق[3].

-يوم الزفاف:

يقام الاحتفال بيوم الزفاف بتلمسان على العهد الزياني، على شكل عرس أو وليمة، في كل من بيتي العريس والعروس وتذبح فيه الذبائح[4] وهناك اختلاف في تحضيرات الزفاف أو العرس بين المدينة والبادية. ففي المدينة كان يبعث الزوج بهدية لزوجته قبل الزفاف، أما البادية تكون الهدية ثورين أو كبش وثور يطعم منها أهل العريسين[5]، والملاحظ على مظاهر الزفاف في البادية سيطرة العرف والعادات عن طريق الحفنة أو القصعة، وأرجع البرزلي ذلك إلى البعد على موضع القاضي أو الشهود واعتبر هذا الزواج في البادية كنوع من الإشهار[6].

في المدينة ينقسم الزفاف إلى حفلين، الأول بالنهار للرجال والآخر للنساء ليلا، وفي كل منهما يستقدمون المغنيات وضاربات الدفوف والراقصات ويذبحون ذبيحة أو أكثر. كما كانت هدية الزوج التي يرسلها الزوجة إلى زوجته قبيل الزفاف عبارة عن الطيب والحناء والأصباغ[7]. ووصف لنا صاحب المعيار، مظاهر الزفاف أن تحضر المزامير ويذبح ثور أو ثورين أو أكثر ويجتمع أهل الموضع الرجال معهم النساء فوق أسقف الديار والطرق[8]، ولا يلزم الزوج غير إطعام النساء اللواتي يقدمن على العرس بقدر طاقته[9]، وجرت عادة المجتمع الزياني أن تقدم أفخر الأطعمة للمدعوين في اليوم السابع من العرس فيخرج الناس ويعدون الطعام ويستدعون الأقارب والأهل[10].

---

(1) الونشريسي: المصدر السابق، ج3، ص100.

(2) كمال، أبو مصطفى: المرجع السابق، ص 13.

(3) الونشريسي: المصدر السابق، ج3، ص246.

(4) عبد العزيز، فيلالي: المرجع السابق، ج1، ص 291.

(5) كمال أبو مصطفى: المرجع السابق، ص 15.

(6) البرزلي: المصدر السابق، ج2، ص446.

(7) كمال أبو مصطفى: المرجع السابق، ص 15-16.

(8) الونشريسي: المصدر السابق، ج3، ص 251.

(9) البرزلي: المصدر السابق، ج2، ص 179.

(10) ابن مريم، المصدر السابق، ص 30.

أشارت دراسات إلى مظاهر أخرى للاحتفال منها سباق الخيل، الذي يجرى في ملعب المدينة على أنغام المزامير والدفوف وزغاريد النساء[1].

ولا يمكن لنا الحديث عن مظاهر الزفاف، دون التطرق إلى لباس المرأة الزيانية، الذي يعتبر أهم مظهر من مظاهر الزفاف، فتنوعت الألبسة بين النساء الزيانية وذلك لتنوع الفئات الاجتماعية، خاصة نوع القماش، فكان لباس الحرير غالب على نساء ذوي الجاه والمال، فقد كان حرير الخام غالي الثمن لذلك نجد نساء الفئة الفقير كانت تعتمد على القماش الأقل سعرا[2]، كلباس الكساء الذي عرفته النساء الزيانيات خاصة في المناطق الريفية ويكون عريضا يلف على أجسادهن ويشيد بحزام على الخصر ويوضع اللثام على الوجه ويربط إلى الوراء حول الرقبة والبرقع ما يغطى به الوجه الذي اشتهر عند نساء البوادي[3].

أما المرأة التلمسانية في المدينة لبست السفساري وشاشية السلطانية مطرزة بخيط الذهب[4]. كما وجد في تلمسان لبس الكنافيش وهي أنواع، ولبست أيضا السروال[5]، وقد قدم لنا الرحالة مارمول وصفا عن لباس المرأة التلمسانية: " لباس التلمسانيين أكثر أناقة مما هو عليه بفاس، والنساء جميلات وزيهن كزي نساء مراكش"[6]، من هذا الوصف يمكن لنا القول إن لباس المرأة الزيانية التلمسانية متشابه إلى حد كبير بين أقاليم المغرب الإسلامي نظرا للتأثير الأندلسي على المنطقة بسبب هجرات الأندلسيين ورحلاتهم التجارية أو العلمية. فلبست المرأة الزيانية أثواب مستوردة من الأندلس وإفريقية، لأن تجار هذه الأخيرة كانوا يصدرون الكتان التونسي إلى تلمسان، ويأخذون منها أحمالا من الصوف الرفيع[7]، ومن جهة أخرى قرب موانئ الأندلسيين التي تشتهر بصناعة المنسوجات، إذ أن السلع كانت تصل باستمرار إلى الموانئ الزيانية، ومن بين السلع التي كانت تصل بكثرة الخاصة بالعرائس[8] وأشارت دراسات إلى وجود ملابس مشرقية في الأسواق الزيانية وأخرى أوربية ذكرها المازوني في نوازله كالفرو، ويبدو أنها من الملابس المستوردة من الدول الأوربية، لذا طرح المازوني هل تلبس دون غسل؟ لأنها صنعت من قبل المسيحيين[9].

أما النعال، فلبست المرأة الزيانية القبقاب، وهو نعل من الخشب علوه بين عشرة وأربعة وعشرون سنتيمتر، أخذ اسمه من الضجة الصوتية التي يحدثها عند اصطدامها بالأرض أثناء السير[10].

واهتمت المرأة الزيانية التلمسانية بزينتها، فضلا عن جماله الطبيعي، فقد كانت الماشطة تقوم بتزيين العروس وتقصد في ذلك بيتها، كما لها دور تجميلي أورده بن الخطيب في قوله: " المتناولات للزينة والتمويه

---

(1) عبد العزيز، فيلالي: المرجع السابق، ج1، ص291.

(2) سمية، مزدور: المرجع السابق، ص 47.

(3) عبد المالك، بكاي: المرجع السابق، دكتوراه، ص 134.

(4) عبد العزيز، فيلالي: المرجع السابق، ج1، ص 269.

(5) مختار، حساني: المرجع السابق، ج3، ص 123.

(6) مارمول، كربخال: إفريقيا، تح: محمد حاجي وآخرون، ج2، دط، مكتبة المعارف، الرباط، المغرب، 1984م، ص 300.

(7) عبد العزيز، فيلالي: المرجع السابق، ج1، ص266.

(8) مختار، حساني: المرجع السابق، ج3، ص 115.

(9) نفسه: ص 116.

(10) عبد المالك، بكاي: المرجع السابق، دكتوراه، ص 136. وذكر صاحب هذه الدراسة أن القبقاب لبس في منطقة القبائل كثيرا.

والتطرية[1]. وذكر لنا أيضا حسن الوزان حب النساء للزينة بقوله: " ولا يشتغلن بغير زينتهن وعطرهن، حتى أن العطارين هم دائما آخر من يغلقون دكاكينهم[2] . وأهم أدوات الزينة المستعملة الحناء المنقوشة تخصبها ليديها ورجليها والسواك والكحل والوشم والتعطر بشتى أنواع المسك والعنبر وماء الورد وغيره[3]. أما حليها فميسورات الحال يحملن في آذنهن أقراطا ضخمة من الفضة، فتضع بعضهن أربعة أقراطا في كل أذن، ويحملن من الفضة خواتم في أصابعهن وخلاخل في سيقانهن، أما نساء العامة فيتخذن تلك الحلي من الحديد والنحاس، وعليه ظل الاختلاف بين النساء في وع المعدن والحلي بكثرته أو قلته، يتحكم في الانتماء الفئوي لكل منهن[4].

-أنواع الزواج:

عرف عامة الناس من المجتمع الزياني، أنماطا عديدة من أنواع الزواج بالإضافة إلى الأنماط السابقة (المصاهرات السياسية، زواج الأقارب، زواج البيوتات العلمية)، وهي:

*زواج البدل: وتقوم هذه الطريقة على أن يتبادل جماعتان امرأتان أو أكثر، بغرض أن تتزوج كل واحدة منهن رجلا من الجماعة الأخرى، والقاعدة العامة في هذا الزواج تساوي كفة الفتاتين محل التبادل من حيث: القدرة على العمل والإرث وكان الإنجاب هو الفيصل في هذا الزواج. فكان على الجماعة التي تقدم امرأة عاقرا أن تعوض زوجها بامرأة ولود.

*زواج المهر: يعتبر هذا النوع أكثر طرق الزواج انتشارا، ويستلزم أن يقوم طالب الزواج أو من ينوب عنه بدفع المهر (مقدما أو مؤجلا)، وفي بعض الأحيان يكون المهر غلة المحصول الزراعي ويقدم أحيانا عقارا، فقد قدم بعضهم لزيجاتهن أراضي كمهر.

*زواج الخطف: كان بعض الرجال يقومون بخطف النساء والروب بهن، ثم يتزوجوهن. فقد وجه رجل أبناء قبيلته إلى قبيلة أخرى بغرض خطف فتاة وإحضارها إليه بغرض الزواج [5]. سئل الونشريسي في نازلة:" من هرب بصبية يتيمة وتزوج بها، فادعت الصبية إكراهها على ذلك، فأجاب القول قولها أنها لم تشهد بالرضى طائعة في قلبها، وإنما ظهرت الرضا وأخفت الكراهة تقية من عودته لمثل ما فعله أولا، فالصواب فسخكم لما تقدم بعد يمينها المذكور، ثم تستأنف النظر لنفسها هي ووليها"[6].

*زواج الأَسْر: ويتم هذا الزواج بتزوج الرجل من سبية أو أكثر من من أسرن في معركة من المعارك.

---

[1] نجلاء، سامي النبراوي: المرجع السابق، ص 20.

[2] حسن، الوزان: المصدر السابق، ج2، ص 78.

[3] عبد العزيز، فيلالي: المرجع السابق، ج2، ص 269.

[4] فوزية، كرارز: المرجع السابق، ص 111-112.

[5] عبد المالك، بكاي: المرجع السابق، مقال، ص71-72.

[6] الونشريسي: المصدر السابق، ج3، ص 83.

*زواج الميراث: ويرتكز هذا الزواج على أساس، أن المرأة التي يموت زوجها تصير زوجة لأقرب الناس خصوصا الأخ، وإذا خلي سبيلها وتركت لتتزوج بمن تشاء يشترط عليها أن تتنازل على كل ما ورثته عن زوجها المتوفي[1].

-تفكك الرابطة الزوجية:

كثيرا ما يشوب العلاقات الزوجية صراعات ونزاعات ينجر عنها انفصال الزوجين عن بعضهما البعض. قد يكون هذا الانفصال عن الزوج بغير بدل، فيكون الطلاق، أو بطلب من الزوجة فيكون الخلع[2]، أو انحلال الزواج بالموت[3].

*الطلاق: لغة هو الترك، يقال طلق البلاد أي تركها وهو المفارقة، يقال طلقت البلاد أي فارقتها، أطلق الناقة من عقالها وطلقها فطلقت أي أصبحت بلا قيد[4].

أما اصطلاحا الطلاق في الشرع هو حل قيد النكاح، أو حل عقدة التزويج[5]. وورد في القرآن الكريم آيات تدل على الطلاق لوله تعالى: " وَإِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ فَبَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ أَوْ سَرِّحُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ ۚ وَلَا تُمْسِكُوهُنَّ ضِرَارًا لِّتَعْتَدُوا ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ ۚ وَلَا تَتَّخِذُوا آيَاتِ اللَّهِ هُزُوًا ۚ وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَمَا أَنزَلَ عَلَيْكُم مِّنَ الْكِتَابِ وَالْحِكْمَةِ يَعِظُكُم بِهِ ۚ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ"[6]. وتستنتج من النوازل عن الحلف بإيمان الطلاق لأسباب متعددة منها:

-نشوب الخلافات بين الأصهار، بسبب تظاهر الزواج قبل الزفاف أمم أهل العروسة بالتدين والصلاح وما يلبث أن يتغير سلوكه بعد الزفاف، فيميل إلى السكر والخمر ومخالطة أهل السوء ويجاهر معهم بارتكاب المحرمات، مما يدفع الأب أو ولي الزوجة إلى التفريق بينهما خشية أن يفسد دينها، وذلك إلى حين عرض النزاع على القاضي[7].وتطرقت نازلة إلى ذلك: " رجل من أهل القرآن تزوج بكرا وأبوها وأخوها من أهل القرآن وطلب العلم، ثم ظهر أن الزوج يشرب الخمر، إذا كان هذا الزوج يفسد دينها ويدخلها في ما لا يجوز من الشرب وغيره ولا يرجى لمثله حسن عاقبتها معه، فرق بينه وبينها، ومن يزوج ابنته لمن يزوج الخمر فقد عرضها للفساد، لكونها معه في الحنث وقلما يسلم من شرب الخمر من إيمان الطلاق والحنث في إيمانها[8].

-الأوبئة والأمراض والمجاعات: فالأمراض المزمنة كانت تؤدي إلى حدوث الطلاق بين الزوجين، في حالة ما إذا مرض أحد الطرفين بمرض مزمن، فلم يطق الطرف الآخر عشرته فيطلب الطلاق وحسبنا في ذلك ما ذكره المازوني في فتوى سئل عنها سيعد العقباني ثم أبو الفضل العقباني، حول رجل تزوج امرأة فظهر

---

(1) عبد المالك، بكاي: المرجع السابق، مقال، ص 72.

(2) محمد، غزالي: الأثر الاجتماعي لقضايا الخلع والطلاق في بلاد المغرب الإسلامي من خلال كتاب المعيار للونشريسي، مجلة عصور الجديدة، ع11-12، جامعة وهران، الجزائر، فيفري2013-2014، ص139.

(3) عبد العزيز، فيلالي: المرجع السابق، ج1، ص292.

(4) ابن منظور، أبي الفضل جمال الدين محمد بن مكرم: لسان العرب، ج8، ط1، دار الصادر، بيروت، لبنان، دت، ص187.

(5) محمد، غزالي: المرجع السابق، ص 139.

(6) سورة البقرة: الآية 231.

(7) كمال، أبو مصطفى: المرجع السابق، ص 22.

(8) الونشريسي: المصدر السابق، ج3، ص 272.

به جذام بعد بنائه بها حوالي ثمانية أعوام، هل يحق لها هجره أم لا؟ ونظرا لخطورة هذا المرض وصعوبة تحمل رائحته فقد أفتى الفقهاء في هذه الحالة بأن يفرق بين الزوجين، خاصة إذا تفحش الجذام[1]. وسئل الونشريسي في نازلة أخرى حول من التزم لزوجته ألا يتزوج عليها، فمرضت مرضا شديدا طويلا، بعد بنائه بها مدة عشرين شهرا، آل بها إلى حالة لا ينتفع بها زوجها بالجماع، وخاف لأجل ذلك على نفسه والوقوع في الزنى، وأراد أن يتزوج غيرها ليحصن بها دينه[2].

ضف إلى ذلك مسألة البكارة، وهي أن يتزوج الرجل على أساس أنها بكر، فإذا هي ثيب من زوج آخر، الخيار هو المفارقة ولا يدفع من الصداق شيئا. ويذكر الونشريسي أن: " من تزوج بكرا، فدخل بها وادعى أنه وجدها ثيبا، ففي هذه الحالة لا يجوز الطلاق"[3]. ولتعدد أشكال الحلف بإيمان الطلاق دفع الفقهاء في مغبة الإفتاء والإجابة على المسائل الفقهية، ففي نازلة نذكرها: " من حلف بالطلاق وحنث وله أكثر من امرأة واحدة ولم يقصد أي منهن، فإنه يختار واحدة منهن يوقع عليها الطلاق، ويبدو أن قوله اجتهاد منه، وقول غيره في ذلك أن تطلق منها جميع نسائه ما لم يعين إحداهن بالذات"[4].

*الخلع: لغة النزع والتجريد والإزالة، فخلع الرجل ثوبه أي أزاله[5].

اصطلاحا، الافتداء إذا كرهت المرأة زوجها، فخافت ألا توافيه حقه، أو خافت ان يبغضها فلا يوافيها حقها، إزالة العصمة بعوض من الزوجة[6]. وورد في القرآن الكريم ما يشرع الخلع لقوله تعالى: " وَلَا يَحِلُّ لَكُمْ أَنْ تَأْخُذُوا مِمَّا آتَيْتُمُوهُنَّ شَيْئًا إِلَّا أَنْ يَخَافَا أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ اللَّهِ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ اللَّهِ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا فِيمَا افْتَدَتْ بِهِ"[7]، وتعددت أسباب الخلع منها:

-الإضرار بالمرأة والذي يعتبر من أهم المشاكل التي تؤدي إلى الخلع، ومن أجله أتت حكمة الشارع الحكيم بتشريع الخلع. وأشارت نازلة بأن رجلا كان يضر زوجته في نفسها لا صبر لمسلم عليه، تضييقا عليها لتفتدي منه، وتكرر منه مرة بعد مرة ولم يقطع عن ذلك في شهادة سماع الحاضرين[8]. كما سئل العقباني عن رجل ضرب زوجته وأراد ضربها مرة أخرى فهربت لبيت أبيها، كما سئل محمد بن مرزوق عن امرأة جاءت لأهلها مضروبة الظهر والذراع، فقيل من فعل بك هذا، فأشارت إلى زوجها[9].

---

(1) سمية، مزدور: المرجع السابق، ص224-225.

(2) الونشريسي: المصدر السابق، ج3، ص77.

(3) نفسه: ص130، 166.

(4) عمر، محمودي: فقه الأسرة المسلمة من خلال نوازل المعيار للونشريسي، دراسة تأصيلية، دط، شبكة الألوكة للنشر، دت، ص47-48.

(5) ابن منظور: المصدر السابق، ج8، ص76.

(6) محمد، غزالي: المرجع السابق، ص140.

(7) سورة البقرة: الآية 229.

(8) البرزلي: المصدر السابق، ج2، ص461.

(9) عبد المالك، بكاي: المرجع السابق، مقال، ص77.

-عدم النفقة وغياب الزوج كان من القضايا التي يكون فيها الخلع مغيب الزوج عن زوجته عدة أعوام، سواءا بالتجارة أو الحج أو غيرها ولا دراية للزوجة بحياة زوجها من مماته، مما يدفع بالزوجة للذهاب إلى القاضي من أجل تطليقها للتزوج بعد عدتها[1].

ونشير في هذا الصدد، أن الفقهاء والقضاة كانوا يتشددون كثيرا في مثل هذه المسائل، حتى يثبتوا باليقين وفاة الزوج بشهادة رجال عدول[2]. وذكر الونشريسي أنه من حق المرأة الفراق عن زوجها في حال غياب الزوج عنها طويلا، ونستشف ذلك من نازلة، أن رجلا غاب عن زوجته طويلا فقامت المرأة وادعت أنها لم يترك لها شيئا وأرادت الفراق فوجب عليها[3].

1-2-2-مظاهر الاحتفالات الدينية:

عرف المجتمع الزياني العديد من الاحتفالات وكان للمرأة التلمسانية حضورا فيها، من خلال العادات والتقاليد النسوية التي أصبحت موروثا حضاريا لغاية أيامنا هذه مثل الاحتفال بالأعياد الدينية:

-الاحتفال بالمولد النبوي الشريف:

يبدو أن أول من سنة هذا الاحتفال الديني بالمغرب الإسلامي، هو قاضي سبتة أبو العباس أحمد بن قاضي محمد بن احمد اللخمي المعروف بالعزفي، الذي ابتدأ دعوته بهذا الاحتفال فقد استعرض المواسم التي دأب عليها المسلمون بالأندلس وسبتة على الاحتفال بها، حيث كانوا يتابعون فيها المسيحيين، فدفعه هذا إلى التفكير فيما يشغل بال المسلمين عن هذه البدع والقضاء على هذه المناكر ولو بأمر مباح. وقد انتشرت هذه العادة من زمن بين بلدان المغرب، وتطورت في المغرب الأوسط تطورا بلغ غايته من الزينة والبهجة في عهد الدولة الزيانية[4]. فاكتسى الاحتفال بالمولود النبوي الشريف في عهد أبو حمو موسى الثاني (760هـ/1359م) حلة جميلة وطابعا شعبيا ورسميا منذ توليه العرش، تميز عهده بإيفاد الشموع الملونة وتوزيع ماء الزهر وماء الورد، ودعوة كافة الناس خاصتهم وعامتهم لحضور هذا الاحتفال[5] ، وشاركت النسوة في هذه الاحتفالات حتى الجواري قرب خزانة المِنْجَانَةُ[6]، تحمل رقعة مشتملة عن نظم تلك الساعة[7]. في هذا اليوم يحضر المغنون لامتداح من خصه الله بالتعزيز، كما توزع صلات كثيرة وتؤدى

---

[1] محمد، غزالي: المرجع السابق، ص 141.

[2] نفسه، ص142.

[3] الونشريسي: المصدر السابق، ج4، ص 19.

[4] الأخضر، عبدلي: الحياة الثافية بالمغرب الأوسط في عهد بني زيان(633هـ-962هـ/1236م-1554م)، رسالة دكتوراه، جامعة أبي بكر بلقايد، تلمسان، الجزائر، 2005/2004م، ص 42.

[5] عبد العزيز، فيلالي، المرجع السابق، ج1، ص 280-281.

[6] المنجانة: ساعة المنقانة أو خزانة المنكانة، هذه الساعة من صناعة العالم ابن الفحام، كانت محفوظة في قصر المشورة، وتعرض على الحضور في الاحتفالات والمناسبات الرسمية مثل عيد المولد النبوي الشريف، وهي داخل خزانة أعلاها أيكة تحمل طائرا فراخه تحت جناحيه. ينظر: بسام قشدان، المرجع السابق، ص162.

[7] التنسي: المصدر السابق، ص 163.

ديون المسجونين العجزين عن أداء الديون والأموات كذلك[1]. وليلة الاحتفال تقدم المرأة الزيانية موائد كالهالات دورا والرياض نورا، فقد اشتملت من أنواع محاسن الطعام على ألوان تشتهيها الأنفس وتستحسنها الأعين[2]، ومن الأطعمة التي تحضرها النسوة في ذلك اليوم بعض المعجنات كالرْغَايَفْ والبَغْرِيرْ والفطور يكون بالعصيدة[3] وهي طعام خشن يهيأ عن طريق تغلية الماء في قدر، ثم يوضع فيها دقيق الشعير، يحرك بقضيب حتى ينضج، تسكب في قدر مجوف يملأ وسطه بزيت الهرجان، وفي فصل الربيع والصيف يطبخ هذا الدقيق في اللبن ويدهن بالزيت ويأكل أيضا مطبوخ بالبصل والفول[4]، حيث يقولون أن أول طعام تناوله الرسول صلى الله عليه وسلم هو هذه العصيدة[5] ، وهذا الاعتقاد لا يزال ساريا إلى حد الآن.

أما احتفال العامة فيكون بتقديم الشموع والتزين بأجمل الثياب نساء وأطفالا، وركوب الدواب في شوارع المدينة والإكثار من الصدقات على الفقراء والمساكين، وإعداد الأطعمة والتوسع على أولادهم في الطعام[6].

اختلف الفقهاء فيما بينهم حول الاحتفال بالمولد النبوي واعتبروا ما أحدثوه من البدع، مع اعتقادهم أن ذلك من أكبر العبادات وإظهار الشعائر ما يفعلونه في شهر ربيع الأول من المولد وقد احتوى على بدع ومحرمات جمة[7]، وجملة ما قالوا: " ليلة المولد، كان السلف الصالح وهم أصحاب الرسول صلى الله عليه وسلم، والتابعة لهم يجتمعون فيها للعبادة ولا يفعلون زيادة على سائر ليالي السنة"[8]. كما أضاف الونشريسي، بأن الرجال والنساء اعتادوا الاجتماع في تلك مكاتب الأطفال إلا خفية للمناكر واختلاط الرجال والنساء ويحرم استعمال آلة اللهو عند الاجتماع في هذه الليلة[9].

-الاحتفال بالأعياد (الفطر والأضحى وعاشوراء):

ظل الاحتفال بعيد الفطر في تلمسان الزيانية، امتدادا لما سبق، وحدد يوم عيد الفطر بعد انتهاء شهر رمضان ودخول اليوم الأول من شهر شوال، فيتوجه الناس في الصبيحة لزيارة المقابر وأضرحة الأولياء الصالحين، فتصنع النساء الزيانيات العديد من الحلويات والكعك وشراب الفاكهة، لتقديمها للزائرين. فاشتهرت المرأة التلمسانية الزيانية بإعداد المَقْرُوضْ والقْطَايَفْ والزلابية، أما الأشربة فهناك شراب عود القماري وشراب العسل والنعناع والورد الأخضر واليابس، كما تقدم أيضا الهدايا، الدمى والألعاب للأطفال[10].

---

(1) النميري: المصدر السابق، ص117.

(2) التنسي: المصدر السابق، ص163.

(3) عبد المالك، بكاي: المرجع السابق، دكتوراه، ص144.

(4) حسن، الوزان: المصدر السابق، ج1، ص96.

(5) عبد المالك، بكاي: المرجع السابق، دكتوراه، ص 144.

(6) بسام، شقدان: المرجع السابق، ص 163-164.

(7) أبو عبد الله محمد بن محمد بن محمد العبدري: المدخل لابن الحاج، ج2، دط، مكتبة دار التراث، القاهرة، دت، ص2.

(8) نفسه، ص60.

(9) الونشريسي: المصدر السابق، ج11، ص 279.

(10) عبد العزيز، فيلالي: المرجع السابق، ج1، ص266 ،270-271.

أما عيد الأضحى، فيخرج رجال الدولة في أحسن زي وخلفهم أعداد من العامة رجالا، نساء وأطفالا ليشهدوا السلطان وهو يضحي بأضحيته أمام الملأ، وبعدها تنقل الأضحية إلى القصر ويسير السلطان بموكبه الذي له أبهة خاصة إلى القصر، مع تلويح المارة له والدعاء له[1]. وحضرت النساء لهذه المناسبة حلويات، نذكر منها: المُشَهْدَةُ حسبنا في ذلك ما ذكره بن مريم عند تعرضه لكرامات سيدي الحلوي: " وأخرج مُشَهْدَة لم يرى الراؤون مثلها، لا طيبتها امرأة في الدنيا من إحكام طبخ وجودة صنعة وكثرة إدام، فأكلنا وتوجهنا إلى دار عمتي، فأخرجت مُشَهْدَتَهَا فوجناها لم تشبه الأولى، فأكلنا منها قليلا"[2].

وطبخت المرأة الزيانية في الاحتفال بالأعياد الثريد، وهو مصنوع من الخبز، خفيف يشبه الشرائط ويغمس في مرق اللحم، مقطعة قطعا كبيرة، ويقدم في إناء كبير تسبح فيه قطع اللحم، ويأكل المدعوون بأيديهم، دون معالق بمعدل عشرة أشخاص في كل إناء[3]. كما عرفت أكلة أخرى تسمى بالبركوكس التي عرفت عند الأندلسيين بالزَبْزِينْ والتي يوضع فيها الدقيق بالمعجنة ويرش بالماء، ندخل فيه الملح ويحرك باليد حتى يلتئم ويتحبب، ثم يحرك بالكف برفق حتى يصير كالحمص ثم يغربل بغربال خفيف حتى يزول ما بقي منه من دقيق ويجفف في طبق[4]، وتعرف هذه الأكلة ببعض مناطق المغرب الأوسط بالعِيشْ ومازالت هذه الأكلة إلى حد الآن تطبخ في المناسبات والأعياد، خاصة عيد الأضحى والأعراس.

أما بيوم عاشوراء، فيحتفل به صوما وزكاة ويقومون بختان الأطفال اليتامى وكسوتهم وإطعامهم[5]. وانتشر في هذا اليوم التخصيب بالحناء، مع استعمال الكحل والسواك والبخور وأكل الفاكهة المجففة، وهي فرصة لزيارة المقابر ورواية حكاية مقتل الحسين، والطعام الغالب الذي نعده النسوة هو الكُسْكُوسْ المفور باللية، وهي مؤخرة الخروف وذنبه، يحتفظ بها من أضحية العيد[6].

وصنعت النساء الزيانيات الكسكوس من دقيق مبلل محول إلى حبيبات، بحجم حبة الكسبرة، تنضج في قدر ذات ثقوب، تسمح بطلوع البخار من قدرة أخرى، ثم يخلط هذا الدقيق المتبخر بعد نضجه بالسمن، ويسقى بالمرق[7]. وتأتي أكلة الكسكوس في مقدمة المأكولات للفئة الفقيرة، التي تستعمل هذا الطبق يوميا كوجبة للغداء والعشاء، وفي بعض الحالات يكون مصنوعا من الشعير مثله مثل الخبز[8].

وعادة الاحتفال بيوم عاشوراء لا تزال إلى حد الآن، يحتفظ بجزء من أضحية العيد ليوم عاشوراء، الذي يعد فيه الطعام بالكسكوس والخليع والقديد.

---

(1) بسام، قشدان: المرجع السابق، ص 164-165.

(2) ابن مريم: المصدر السابق، ص94.

(3) حسن، الوزان: المصدر السابق، ج1، ص217.

(4) علي بن محمد بن رزين تاجيبي: فضالة الخوان في طيبات الطعام والألوان، صورة من فن الطبخ بالأندلس، تح: محمد بن شقرون، إشراف: إحسان عباس، ط2، الناشر إيران للعلوم الطبية، 2009م، ص51.

(5) عبد العزيز، فيلالي: المرجع السابق، ج1، ص274

(6) عبد المالك، بكاي: المرجع السابق، دكتوراه، ص145.

(7) حسن، الوزان، المصدر السابق، ج1، ص253.

(8) مختار، حساني: المرجع السابق، ج3، ص 113.

-الاحتفال بشهر رمضان:

يحتفل عامة الناس بشهر رمضان الكريم، بكثرة الصدقات وتعدد الزيارات بين الأقارب والجيران والأصدقاء، وتتزين المساجد والزوايا بالشموع والقناديل، وبأنواع البخور والعود والعنبر، كما يحرص الناس على حضور صلاة التراويح، أما سلاطين بني زيان يحرصون على إحضار مصحف عثمان رضي الله عنه، إلى مجالسهم أثناء ليالي رمضان والتلاوة منه[1].

وطبخت المرأة الزيانية التلمسانية، خلال شهر رمضان، الحساء أو الحسو أو ما يعرف بالحريرة، وهي أكلة شعبية تصنع من اللحم والخضروات والدقيق (الشعير أو القمح)[2]. وأشار إلى هذه الأكلة أيضا ابن مرزوق إلى أن فاطمة زوجة بن مرزوق (ت681هـ/1282م)، كانت تصنع الحسوة لزوجها في آخر حياته[3].

وأهم ما يلاحظ على المرأة الزيانية التلمسانية، اتخاذها عوائد خلال هذا الشهر آل الأمر إلى الإخلال به، ومن ذلك إفطارهن بغير عذر شرعي، فإذا كانت المرأة مبدنة، تخاف إن صامت اختل عليها حال سمنها فتفطر لأجل ذلك، وكذلك بعض البنات الأبكار، يفطروهن أهلهن خفية تغيير أجسامهن من الحسن والسمن، وبعضهن تصوم أيام الحيض ولا تفطر ولا تقضي تلك الأيام التي كانت فيها حائضا، ويعلل بعضهن أن الصوم يصعب عليهن في حال كان الناس مفطرين[4].

بالإضافة إلى هذه الاحتفالات الدينية، اهتموا كذلك بالاحتفال بميلاد أطفالهم، فكانوا يعدون العقيقة، وهي وليمة تتكون من أحد الخراف ونوع من الحلوى يسمى العصيدة ويطعم من ذلك الفقراء وأقارب أسرة المولود، احتفالا بقص أول خصلة من شعر المولود في اليوم السابع من ولادته. أما ختان الأطفال فيقدمون بهذه المناسبة مؤدبة يدعون لها الأهل والأقارب[5].

خلافا لهذه الأعياد، عرفت المرأة الزيانية التلمسانية، بعض الأعياد خصوصا نساء البادية عكس نساء المدينة، متعلقة بأعياد أهل الذمة وهو الاحتفال بعيد العَنْصَرة (عيد ميلاد يحيى عليه السلام) والاحتفال بعيد النيروز (عيد الربيع)، ويناير (رأس السنة الميلادية)، فقامت النسوة بتزين بيوتهن وإخراج الثياب إلى الندى في الليل ووضع ورق الكرنب والخضرة في ثيابهن ويحرصن على الاغتسال ذلك اليوم[6]. وهذا ما ذمه الفقهاء واعتبروه بدعة محرمة، لا يحل لمسلم فعل ذلك، وقد جاءت أحاديث مأثورة عن الرسول صلى الله عليه وسلم في المتشبهين من أمة النصارى في نيروزهم ومهرجانهم وأنهم محشورون معهم يوم القيامة لقوله صلى الله عليه وسلم: " من تشبه بقوم حشر معهم". كما حذر الفقهاء أيضا من تعظيم يوم السبت والأحد وترك العمل فيهما وترك العمل فيهما وترك أعياد النصارى " واعلمن الأيام كلها ويوم الجمعة حتى

---

(1) عبد العزيز، فيلالي، المرجع السابق، ج1، ص270.

(2) مختار، حساني: المرجع السابق، ج3، ص164.

(3) ابن مرزوق: المصدر السابق، المناقب، ص 164.

(4) ابن الحاج: المصدر السابق، ج1، ص60، 62.

(5) كمال أبو مصطفى: المرجع السابق، ص 54.

(6) نفسه: ص46.

ينادي إلى الصلاة، ثم تصلين، فإذا فرغتن فاقبلن على شغلكن ومعايشتكن ومصلحة أزواجكن وأولادكن ولا تدعن العمل راتبا ولا تعظمن يوما يترك العمل فيه إلا يوم الفطر والأضحى، فإنهما يوم الطعام والشراب[1].

1-2-3-عادات متعلقة بخروج النساء:

مارست المرأة الزيانية التلمسانية بعض العادات التي كانت ترى فيها حريتها، راحتمها وطمأنينتها، غير أن هذه العادات لقيت رفضا من قبل الفقهاء، فاستنكروها بشدة واعتبروها ضرار كبيرا على المرأة المسلمة العفيفة والمصونة بدينها الحنيف الإسلام، هذا الدين الذي أنصف المرأة وكرمها ورفع من شأنها[2].

-الخروج إلى الحمامات:

عقب موقعة العقاب[3](609هـ/1212م)، ونزوح الكثير من أهل الأندلس إلى بلاد المغرب، شاع دخول النساء إلى الحمام (زوال وسخ وصلاح بدن ونحو ذلك)[4]. وبتلمسان حمامات نظيفة وما أحسنها وأوسعها وأنظفها حمام العالية، وهو المشهور وليس له نظير[5]. وتحدث الرحالة مارمول عن الحمامات بتلمسان وذكر أنها غير مجهزة بوسائل الراحة مثلما هي حمامات فاس[6]، وأشار إلى ذلك حسن الوزان على وجود عدة حمامات في تلمسان لكنها متفاوتة القيمة ناقصة المياه بالنسبة لحمامات فاس[7].

استعملت المرأة في حمامها الغسل بالعسل واللبن، وتسرح شعرها بالناضوح المصنوع من التمر والزبيب، كما كانت تغسل شعرها بالبيض ويديها بالأرز، وشاع في الحمام بيع الضفائر المسبلة المصبغة بين النساء، وكذلك استعارة الحلي واستئجاره في المناسبات الاجتماعية[8]. وعند فراغ النساء من الحمام تلبس أفخر الثياب والحلي، مما أحدث فتنة ومفاسد[9]. كما أصبح الحمام فضاء للتزويج بالنسبة للنساء الزيانيات، خصوصا عندما يتعلق الأمر بالبحث عن خطيبة، فقد كانت تتم عملية معاينة العروس وبالمقابل كانت الفتيات تحاول لفت الأنظار، بإظهار رشاقتهن وجمالهن.

ومن عادات النساء الزيانيات أيضا الذهاب إلى الحمام أيام الأعياد والأفراح، فأثناء الزفاف يحتفلون بدخول العروس الحمام مع جمع غفير من الأقارب والصديقات، والاستحمام كان يصاحب ذهاب المرأة

---

[1] الونشريسي: المصدر السابق، ج11، ص151-152.

[2] ربيعة، قاسمي: عادات المرأة المغربية المنهى عنها من نوازل المعيار للونشريسي، مجلة عصور، ع26-27، جامعة وهران، الجزائر، جويلية-ديسمبر 2015م، ص 227.

[3] موقعة العقاب (609هـ/1212م): وهي معركة قامت بين ملوك الاسبان النصارى وملوك الموحدين، انتهت بهزيمة الموحدين، وعلى إثرها سقطت الأندلس من حكمهم ونتج عنها خسائر مادية وبشرية كثيرة، وتعتبر هذه المعركة من أهم العوامل التي أدت إلى تفكك دولة الموحدين. ينظر: ابن خلدون: المصدر السابق، ج6، ص 331.

[4] عبد الرحمان، بشير: المرجع السابق، ص131-132.

[5] محمد العبدري البلنسي: الرحلة المغربية، تق: سعيد، بوفلاقة، ط1، مؤسسة بونة للبحوث والدراسات، عنابة، الجزائر، 2007م، ص28.

[6] مارمول، كاربخال: المصدر السابق، ج2، ص 298.

[7] حسن الوزان: المصدر السابق، ج2، ص 20.

[8] عبد الرحمان، بشير: المرجع السابق، ص132.

[9] ابن الحاج: المصدر السابق، ج1، ص183.

النفساء بعد مرور أربعين يوما بعدا الولادة، أين يحتفل بها أيضا[1]. كما اثارت حمامات النساء فضول الرجال، وكانوا يجلسون أمام الحوانيت التي تجاور الحمام للنظر إلى من تخرج منهن، ورد الفقهاء في بعض الأحيان عندما تكثر حالات تذمر الرجال بالنساء، بتقصير دخول الحمام على المريضة والنفساء فقط[2]، فظهر بين الفقهاء التشدد في الإباحة والتحريم، فذكر لنا صاحب كتاب المدخل لابن الحاج أن دخول الحمام بها أشياء مستهجنة ومخالفة للشرع، لأن النبي صلى الله عليه وسلم ذكر أن أشراط الساعة عد فيه طلب الرزق بالمعاصي، ولا شط أن دخول الحمام بغير ضرورة شرعية معصية[3]. وتطرق العقباني إلى ذلك في قوله: " وأما دخولهن الحمام فأصله الإباحة، لأنه من نعومات الأبدان، فإن سترت نفسها في ضير لذلك، لأن المرأة عورة ولا يجب أن تبدي محاسنها، أما التحريم فذاع أن نساء تلمسان لا يسترن عند دخولهن الحمام إلا القليل وفي ذلك فتنة وهو محرم شرعا"[4] ، وذهب بعض الفقهاء إلى تحريم ذهاب المرأة إلى الحمام، وقد استندوا في ذلك إلى حديث الرسول صلى الله عليه وسلم :" إنكم ستفتحون أرض العجم، وإنكم ستجدون فيها بيوتا يقال لها الحمامات، فلا يدخلها الرجال إلا بمأزر ، وامنعوا النساء إلا النفساء والمريضة[5].

-الخروج إلى الأسواق والمنتزهات:

تلمسان مدينة كبيرة، سهلية جبلية، جميلة المنظر، بها أسواق قائمة، وهذه المدينة بالجملة ذات منظر وأخبار وأقطار متسعة[6]. ويصفها الإدريسي فقال: " في أرجاء المدينة وما جاورها الكثير من المزارع، كلها مسقي، وغلاتها ومزارعا كثيرة، وفواكهها جمة"[7].

ولقبت تلمسان أيام الرومان بوماريا أي الحدائق، فضمت ممتلكات هائلة فيها دور جميلة للغاية، ينعم المدنيون بسكناها في الصيف حيث الكروم المغروسة الممتازة تنتج أعنابا من كل لون، طيبة المذاق وأنواع من الكرز الكثيرة، والتين الشديد الحلاوة، وهو أسود غليظ وطويل جدا ويجفف ليأكل في الشتاء والخوخ والجوز واللوز والبطيخ وغيرها من الخيرات المختلفة[8].

وأشار بن خلدون إلى انتشار الحدائق والمنتزهات والبساتين في تلمسان وغيرها من المدن[9].ومدحت تلمسان شعرا، فقال الإمام الصوفي، عبد الله بن محمد بن خميس " الطويل":

---

(1) الهادي، بورشمة: الحمام الشعبي بتلمسان، مجلة انسانيات، ع63-64، جامعة جيلالي ليابس، سيدي بلعباس، الجزائر، جوان 2014م، ص149-150.

(2) عبد الرحمان، بشير: المرجع السابق، ص132.

(3) ابن الحاج: المصدر السابق، ج1، ص 282.

(4) العقباني: المصدر السابق، ص 73، 83.

(5) قاسمي، ربيعة: المرجع السابق، ص 229.

(6) البلنسي: المصدر السابق، ص27-28.

(7) الإدريسي، أبي عبد الله محمد بن محمد عبد الله بن إدريس الحموي: نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، ج1، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، مصر، 2002م، ص 248.

(8) حسن، الوزان، المصدر السابق، ج2، ص 17-18.

(9) ابن خلدون: المصدر السابق، ج7، ص297.

تِلِمْسَانُ جَادَتْكِ السَّحَابُ الرَّوَائِـجُ وَأَرْسَتِ بَوَادِيكَ الرِّيَـاحُ اللَّـوَاقِحُ
وَسَحَ عَلَى سَاحَاتِ البَّابِ جِيَادُهَا مُلْثٌ يُصَافِي تَرْبَهَـا وَيُصَـافِحُ
فَطَرَفٌ عَلَى تِلْكَ البَسَاتِينِ سَارِحٌ وَطَرَفٌ إِلَى تِلْكَ المَيَـادِينِ جَامِحُ
نَسَيْتُ وَمَا أَنْسَى الوَرِيطُ وَقْفَـةً أُنَـافِحُ فِيهَـا رَوْضَةً وَأُفَـاوِحُ
مُطِلًا عَلَى ذَلِكَ الغَدِيرِ وَقَدْ بَدَتِ لِإِنْسَانِ عَيْنِي مِنْ صَفَاهُ الصَّفَائِحُ
أَرَقُّ مِنَ الشَّوْقِ الذِّي أَنَا كَـاتِمٌ وَأَصْفَى مِنَ الدَّمْعِ الذِّي أَنَا سَافِحُ[1]

ومن مدح بن خميس لتلمسان يذكر لنا المنتزهات والبساتين والشلالات، التي استهوت الكثير من الشعراء، منهم لسان الدين بن الخطيب[2].

اتخذت النساء التلمسانيات الزيانيات من هذه المنتزهات بعض العادات، كالخروج للتنزه في البساتين والشلالات والبرك متزينات، فكان بعضهن يغتسل في البركة ويظهرن ما بهن من زينة وحسن الثياب والحلي، كما قام بعضهن بالغناء وإنشاء الشعر الرقيق المشتمل على التغزيلات[3].

أما المرأة في الريف، فخرجت إلى الروافد والوديان التي تصنعها السواقي للطهر أو الوضوء أو لغسل الثياب[4]، وذم الفقهاء خروج النسوة إلى المنتزهات لأنه يؤدي إلى اختلاس النظر واختلاط النساء بالرجال، قد يؤدي إلى وقع الفاحشة والفساد، كما ينبغي منعهن من التجول في البساتين، إذ أن في ذلك كشف لهن اللهم إلا إذا كان البستان لا يدخله أحد إلا بإذنه[5].

كما عرفت المرأة الزيانية التردد للسوق ولكن بضوابط لا يمكن تجاوزها، فألزموها احترام القواعد الشرعية بخصوص ذلك، وهذا ما يؤكده الونشريسي: " ويعين للنساء موضع مستتر يخصهن للخولة في قضاء ما يحتجن إليه من ذلك"[6]. وما ذمه الفقهاء في خروج النسوة إلى السوق متزينات بأنواع الزينة البادية، وهي ظاهرة عليها في مشيتها وطيبها وكذلك الإطالة في الوقوف عند الصانعين وحوانيت الباعة[7]، ويتخوفون كثيرا من خلوة بعض النساء ببعض الباعة خصوصا في وقت القائلة " ... إن وقع إكثار من جلوس النساء ببعض الباعة خصوصا في وقت لغير فائدة أو في أوقات يخاف فيها التطرق إلى الفساد، مثل أوقات القائلة وغفلة الناس أو يكون المكان خاويا أو خلوة في منزل الصانع"[8].

---

[1] المقري: المصدر السابق، ج7، ص 131-132.
[2] نفسه، ص135.
[3] ابن الحاج: المصدر السابق، ج1، ص 280-281.
[4] عبد الرحمان، بشير، المرجع السابق، ص132.
[5] ابن الحاج: المصدر السابق، ج1، ص 281.
[6] ربيعة، قاسمي: المرجع السابق، ص 228.
[7] العقباني: المصدر السابق، ص 72،78
[8] ربيعة، قاسمي: المرجع السابق، ص 228.

-زيارة أضرحة الأولياء الصالحين والمقابر:

انتشرت هذه العادة في المغرب الإسلامي، وكانت زيارة الأضرحة والتبرك بهم عملا مستمرا، سواء الأيام العادية أو المناسبات الدينية. وعرفت زيارة أضرحة الأولياء الصالحين، تجمعات نسوية شكلت مجمع للنساء يلتقين فيه للبكاء والصراخ سعيا للحصول على الطمأنينة والراحة النفسية، وأيضا سعيا منها للحفاظ على الرابط الأسري، وذلك من خلال التبرك بالضريح للاعتقاد في قدراته الخارقة لحل المشاكل والعراقيل والمظالم، وتقوم كذلك على الوَعْدَة والحَضْرَة[1]. فأصبحت هذه الزيارات سلوكا اجتماعيا تؤمن بها كل شرائح المجتمع الزياني على تفاوتها الفئوي، فقد كان أغنياء تلمسان يمتثلون المبادرات الاجتماعية والاقتصادية التي تتزعمها الصوفية لإنقاذ المعوزين من الجوع، ويبادرون في إنفاق الطعام والمال على الصوفية، للاعتقاد على حصول بركة منهم[2]، وهذا ما قامت به زوجة السلطان يغمراسن، حيث أوصت ابنها عند ذهابه لزيارة الشيخ الواضح أن يحضر لها حجابا من عنده، فأعطته كاغذا، وكتب الشيخ الحجاب وأرسله مع ولدها[3]. فيذكر أن امرأة شريفة قصدت أحد الأولياء للصدقة، فشكت إليه حالها وحال ابناءها، فأثراها بالمال الذي كان ينوي به شراء ما يلزمه للخروج إلى الحج[4].

كما قامت النساء بزيارة أضرحة الأولياء الصالحين في حالة المرض، فإحدى النساء جاءت للشيخ الولي أحمد بن يوسف الراشدي القلعي (ت 927هـ/1521م)[5]، تشكو له موت أولادها في بطنها فدعى لها وهي حامل فولدت وعاش ابنها، والمرأة التي لا تلد يرقى لها في ماء المطر بعد أن يوضع في إناء جديد، وتقرأ عليه الفاتحة وسورة الكرسي والإخلاص والمعوذتين، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم سبع مرات، وتشربه سبع ليالي متتالية فتحمل[6]. وذكر الكتاني صاحب كتاب سلوة الأنفاس، بأن زيارة الصالحين لها فائدة كثيرة فقال: " إذا فكر الصالحون نزلت الرحمة، وإذا تعذرت رؤيتهم ومصاحبتهم فلا شيء أنفع للقلوب والنفس من سماع أحوالهم ومطالعة أخبارهم"[7]، كما قال: " زيارة قبور الأولياء ترياق نافع للقلوب، وهي من أفضل المندوبات"[8].

---

[1] ربيعة، قاسمي: المرجع السابق، ص 228.

[2] الطاهر، بونابي: التصوف في الجزائر خلال القرنين 6-7هـ/12-13م، نشأته، تياراته، دوره الاجتماعي والثقافي والفكري والسياسي، دط، شركة دار الهدي للطباعة والنشر والتوزيع، عين مليلة، الجزائر، 2004، ص172

[3] سمية، مزدور: المرجع السابق، ص 186.

[4] نفسه: ص 216.

[5] أحمد بن يوسف الراشدي القلعي (ت927هـ/1521م): نزيل مليانة، من أعيان مشائخ المغرب، وعظماء العارفين، جمع الله له ما بين علم الحقيقة والشريعة، وانتهت إليه رياسة السالكين، وتربية المردبين، بالبلاد الراشدية والمغرب بأسره. اشتهر ذكره في الآفاق وقصده الزوار من كل حدب وصوب، وتتابعة كراماته عليهم، وأنواع الانفعالات، فبعد صوته وكثر أتباعه. ينظر: أبي قاسم محمد الحفناوي: تعريف الخلف برجال السلف، ج2، دط، مطبعة فونتانا الشرقية، الجزائر، 1906م، ص 97.

[6] سمية، مزدور: المرجع السابق، ص142-143.

[7] الشريف أبي عبد الله محمد بن جعفر بن إدريس الكتاني: سلوة الأنفاس ومحادثة الأكياس بمن أقبر من العلماء والصلحاء بفاس، تح: عبد الله الكامل الكتاني وآخرون، ج1، ط1، دار الثقافة، دار البيضاء، المغرب، 2004م، ص15.

[8] نفسه: ص 17.

بالمقابل حارب بعض الفقهاء ظاهرة زيارة قبور الصالحين، واتخاذ الولي كوسيلة أو شفيع من العبادات البدعية، وهناك من رفض فقط الممارسات البدعية المصاحبة للزيارة[1]، كتقبيل القبور والتمسح بها ولمسها لأنه من فعل النصارى، والانحناء للقبر لأنه من البدع المستهجنة والأقبح منه تقبيل الأرض بين يدي الولي[2]. كما ذم الفقهاء أيضا الصلاة على قبر الولي لقوله صلى الله عليه وسلم: " اشتد غضب الله على قوم اتخذوا قبور أنبياءهم وصالحيهم مساجد"، ومن الاعتقادات الفاسدة أيضا الإدهان بالماء الذي عند قبر الأولياء، ولا ينبغي التوسل إلى الولي لأنه سبحانه هو المعطي، الرزاق، المانع، النافع، المتصرف في عباده على الحقيقة بما شاء وكيف شاء، ولا فعل لغيره سبحانه وتعالى، والأولياء إنما هم المصرفون لا المتصرفون ويملكون لا مالكون، ومشفعون لا متشفع إليهم[3] قال تعالى : " مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إلا بِإِذْنِهِ"[4] ، وأشهر مزار بتلمسان يعرف بالعُبَاد وهو مدفن الصالحين وأهل الخير ومن أعظمها قبر الصالح القدوة فرد زمانه أبي مدين[5]، وأهل تلمسان والبلاد المجاورة لها كثيرون الزيارة لهذا الولي، ويستغيثون به ويتصدقون عنده كثيرا لوجه الله [6]. وهناك مزارات لم تذكرها كتب السير والتراجم مثلا: لالا مغنية، لالا ستي وغيرهن كثيرات ممن كن صالحات[7].

ومن العادات التي عرفتها المرأة التلمسانية، خروجهن واجتماعهن في المقابر والمواضع التي يتخذ منها مجالس للتنزه، على من يمر منهن من شبان الرجال وقد يعارضهن بتلك الحالة الكثير من الفسق، وقد عمد بعضهن إلى وضع الخيام على المقابر زعما من هن أنهن يستترن من يطيل الجلوس منهن[8].

ويذكر الوزان ما يقوم به النساء إذا مات لهن قريب، وفي آخر كل بيت تصيح النساء ويخدشن صدورهن وخدودهن حتى يسيل الدم بغزارة، وينتفن شعورهن نائحات مولولات يدم ذلك سبعة أيام تلك هي عادة العامة[9]. وأفتى الفقهاء بمنعهن بالخروج إلى المقابر، وإن كان لهن ميت، لأن السنة حكمت بعدم خروجهن لقوله صلى الله عليه وسلم: " لنساء خرجن في جنازة أتحملنه فيمن يحمله، قلن: لا، قال: أفتنزلنه قبره، فيمن ينزله، قلن: لا، قال: أفتحثين عليه التراب فيمن يحثى، قلن: لا، قال: فارجعن مأزورات غير مأجورات"، ولقوله صلى الله عليه وسلم: " لعن الله زائرات القبور والمتخدين عليها مساجدا وسرج"[10]

---

[1] ربيعة، قاسمي: المرجع السابق، ص231.

[2] الكتاني: المصدر السابق، ص 43-44.

[3] نفسه: ص 49، 53.

[4] سورة البقرة: الآية 255.

[5] أبي مدين (ت459هـ وقيل 478هـ) كان زاهدا، عارفا بالله تعالى، قد خاض من الأحوال بحارا ونال من المعارف أسرار، وخصوصا مقام التوكل، لا يشق فيه غباره ولا تجهل آثاره، وكان مبسوطا بالعلم، مقبوضا بالمراقبة، كثير الالتفات بقلبه إلى الله تعالي، حتى ختم الله بذلك توفي علم 459هـ وقيل عام 478هـ. ينظر: أبي يعقوب بن يحيى التادلي: التشوف إلى رجال التصوف، تح: أحمد توفيق، ط2، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، الرباط، المغرب، 1997م، ص 319.

[6] حسن، الوزان: المصدر السابق، ج2، ص 24.

[7] نعيمة، بوكرديمي: المرجع السابق، ص 75.

[8] العقباني: المصدر السابق، ص 77.

[9] حسن، الوزان: المصدر السابق، ج1، ص 208.

[10] ابن الحاج: المصدر السابق، ج2، ص250-251.

2-الحضور الاقتصادي للمرأة التلمسانية الزيانية:

كان للمرأة الزيانية مساهمة في تفعيل النشاط الاقتصادي، عن طريق ممارستها لمختلف المهن، فهناك من شاركن في الأعمال الزراعية، وأخريات مارسن النشاط الحرفي، بالإضافة إلى أعمال أخرى ونظرا لمتطلبات المعيشة فإن المرأة في البادية لم تحض بما كانت تقوم به المرأة في المدينة، مما يدل على اختلاف في الحضور الاقتصادي وهذا ما سنتناوله في النقاط التالية:

2-1-المرأة في المدينة:

كانت المهن والحرف من أهم مصادر دخل الدولة الزيانية، وكانت تساهم في إضفاء الطابع العمراني المتميز، خاصة للحاضرة العريقة تلمسان من جهة أخرى، كثفت السلطة الزيانية جهودها لتفعيل النشاط الحرفي بها، عن طريق الاستفادة من خبرة الأندلسيين، خاصة عندما أعطيت لها ضمانات من طرف السلطان يغمراسن بن زيان(633هـ-681هـ/1235م-1282م)، الذي أصدر في حقهم ظهيرا[1] واستمر خلفه من بعده على نفس الدرب، إذ استدعى السلطان الزياني أبو حمو موسى الأول (707هـ-718هـ/1307-1318م) الحرفيين الأندلسيين في إطار التعاون الفني والاقتصادي بين غرناطة وتلمسان[2]. وأشار بن خلدون في مقدمته إلى أمهات الصنائع: " إعلم أن الصنائع في النوع الإنساني كثيرة لكثرة الأعمال المتداولة في العمران، فهي بحيث تشذ عن الحضر ولا يأخذها العد إلا أن منها ما هو ضروري في العمران، أو شريف بالموضع، فتخصها بالذكر ونترك ما سواها، فأما الضروري الفلاحة والبناء والخياطة والتجارة والحياكة وأما الشريفة كالتوليد والكتابة والوراقة والغناء..."[3].

والحرفة استقطبت اهتمام الأسرة الزيانية، وكان للمرأة نصيب في مزاولة الحرف، وخصوصا حرفة النسيج، وصناعة الحنابل والأكسية، وغزل الصوف، كما اشتهر نساء إقليم فجيج بنسج الأغطية تمتاز بكونها دقيقة ورفيعة الصنع حتى كان يظن أنها من الحرير، وتباع بأثمان غالية في فاس وتلمسان ومدن أخرى لجودتها العالية[4].

ومن الحرف التي اشتهرت بها النساء التلمسانيات أيضا صناعة الزرابي والخياطة والطرز بخيط الذهب والفضة[5]، الذي كانت تحتكره المرأة الغنية ميسورة الحال، أما المرأة التلمسانية الفقيرة من المدينة تصنع في بيتها النسيج وكان نسيج البرانس للرجال والبرنوسيات للأطفال، ونسجهن يكون في منازلهن أو

---

[1] الظهير: أصدره السلطان يغمراسن بن زيان في حق الجلية الأندلسية، القادمة من شرق الأندلس وأهم ما نص عليه الظهير" هذا الظهير عناية مديد الظلال وكرامة رحيبة المجال، وحماية لا يخشى على عقدها المبرم وعهدها المحكم من الانحلال والاختيال، أمر به فلان أيده الله أمره وأمد عصره لجميع أهل الأندلس المستوطنين بحضرة تلمسان -حرصها الله-أحلهم به من رعيه جميل كنافا وبوأهم من اهتمامه الكريم وإنعامه العميم، جنات أنفافا...". ينظر: نصيرة، عزرودي: الدولة الزيانية وتفعيلها في تفعيل النشاط الحرفي في المغرب الأوسط، مجلة البحوث الاجتماعية والتاريخية، ع4، جامعة قسنطينة، جوان 2013م، ص 244.

[2] نفسه، ص 244-245.

[3] عبد الرحمان بن خلدون: مقدمة، ج1، دط، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، دت، ص 405.

[4] نصيرة، عزرودي: المرجع السابق، ص 241-242.

[5] مختار، حساني: المرجع السابق، ج2، ص 90.

بعض الورشات الخاصة[1]. والمرأة الزيانية بتلمسان تفتخر بتعليم بناتها الحرف المتداولة بين العائلات، حين يكون الزوج فقيرا، اقتداء بالمثل التالي: " مدت مال الجدين وباقي مال اليدين"[2]، فكانت المرأة تصنع النسيج والقطن والصوف في بيتها فتشتري الصوف وتتصرف فيه بالغسل والمشط والغزل والنسج ثم يسوق[3]. ومما يؤكد أن المرأة كانت تساعد زوجها الفقير في إعالة شؤون الأسرة مت تطرقت إليه النازلة التالية:" عن رجل حلف لزوجته باللازمة، ألا يشتري لها كتان ولا يطلع في عنقه ثوبا من غزلها، وكان السبب أنه اشتكى لها دين عليه، فقالت": تراني أنسج الشقة وأعطيها لك لتبيعها ..."[4]. وتطرق العقباني إلى خروج النسوة وتجمعهن في مجمع يسمى التويزة، يغزلن عند امرأة واحدة في منزلها، وما تدعوهن لغزله من كتان أو صوف إعانة ورفقا[5].

واعتمدت المرأة الزيانية أيضا على الإنتاج الزراعي والحيواني كمواد أولية، لمختلف الحرف كالصوف والحرير والقطن والكتان، مما أدى لإنتاج وفير للصوف الذي امتاز بجودته العالية ونعومته الكبيرة[6].

وهناك صناعات أخرى، وجدت لها مكانة عند النساء الزيانيات واستقطبت اليد العاملة النسوية وهي صناعة الأدوات الفخارية[7]، واستعملت من طرف كل الفئات الاجتماعية كأواني للطهي وحفظ المؤونة أو السيول كزيت الزيتون والسمن[8]. فكان التلمسانيون يأكلون على الموائد وبالمعالق، ويستعملون القَصْعْ والبُرْمْ وأواني أخرى للطعام، ومزاود وغرائر لحفظ الحبوب الجافة والدقيق[9].

إلى جانب هذا عرفت الصناعة الغذائية، التي كانت من اختصاص الفئة المتوسطة عكس الفئة الخاصة التي كانت توكل هذه المهنة إلى الجواري، ومن أهم الصناعات الغذائية نذكر: المخلل وتحضير الحلويات من مختلف أنواعها لمساعدة الزوج والحصول على مورد الرزق، وتحضير خبز الشعير وصنع اللبن لاستخراج السمن والجبن، وصناعة الكسكوس نظرا لتوفر مادة القمح والشعير[10].

كما عرفت المرأة التلمسانية نشاطات حرة، منها:

*البائعة والدلالة: اهتمت بعض النساء بهذا النوع من المعاملات من بيع وشراء إلى جانب الرجل، حيث كانت تدخل الأسواق لبيع غزلهن ولشراء الخيوط الصوفية والقطنية[11]. كما باعت النساء البدويات اللبن والبيض والدواجن والخضر والفواكه، وينبغي على بائعة البيض أن يكون بجوارها أوعية مملوءة بالماء

---

(1) عبد العزيز، فيلالي: المرجع السابق، ج1، ص 222-223.

(2) مختار، حساني: المرجع السابق، ج2، ص 90.

(3) عبد العزيز، فيلالي: المرجع السابق، ج1، ص222.

(4) الونشريسي: المصدر السابق، ج4، ص28.

(5) العقباني: المصدر السابق، ص77.

(6) نصيرة، عزرودي: المرجع السابق، ص241.

(7) خالد، بلعربي: المرجع السابق، ص262.

(8) مختار، حساني: المرجع السابق، ج2، ص 95-96.

(9) عبد العزيز، فيلالي: المرجع السابق، ج1، ص256.

(10) نعيمة، بوكرديمي: المرجع السابق، ص72.

(11) نفسه: ص 74.

لاختيار جودة البيض وعدم فساده قبل بيعه. والدلالة تكون وسيطا لبيع المنتوجات الرفيعة كأدوات الزينة والحلي والعطور والملابس[1]، واقتصرت هذه المهنة على نساء الفئة الفقيرة، لأن المرأة الزيانية الغنية لا تستطيع الخروج إلى السوق لشراء ما يلزمها، بسبب منعها من قبل زوجها[2]، إضافة إلى قيامها بالمعاملات المالية، حيث زاحمت الرجال وتفوقن في ذلك، حتى أن البرزلي شبههن باليهود في ذلك الجانب، وورد ذكر عمل المرأة في المعاملات المالية مثل الرهن أواخر القرن الثامن هجري وأوائل القرن التاسع هجري[3]، لكن هذا لا يعني انعدام الحضور الاقتصادي للمرأة الغنية، فقد كانت حاضرة بأعمال الخير والتكافل ومساعدة الفقراء والعائلات المعوزة، ومن أعمالها أيضا سعيها في تزويج اليتيمة وإعارة ثيابها وحليها للعروس[4].

2-2-المرأة الريفية:

قامت المرأة الريفية بأعمال تدخل ضمن اختصاصات الرجل، من أبرزها حمل الماء من السقي على ظهورهن بالقرب من الأماكن البعيدة، حيث كن يخرجن من الصباح الباكر ولا يعدن إلا بعد الزوال، كما قامت المرأة البدوية بنسج الخيم من الوبر والصوف كمسكن، باعتبارها تعتمد على الرحلة الموسمية. كما اهتمت بالنشاط الفلاحي، حيث ساعدت النسوة الرجال بأشغال الحقل من حرث للأرض وإقلاع للأشجار والمساهمة في بناء الدور وحصاد الزرع ورعي الماشية وتربية الدواجن[5].

وقد كان بعض الأزواج لا يحبذ قيام زوجته بهذه الأعمال، لأنها تلهيها عن الاهتمام بنفسها والتزين له، ومنم من كان يأتي لها بنفسه بالصوف والشعر لتقوم بغزله، وهي عادة مألوفة في ريف المغرب الأوسط وتكون فائدة هذا العمل مسخرة للزوج في حال امتهانه باسمه، أما إذا كان لنفسها فهي شريكة لها فيه، ومن النساء من كانت تغزل بأجرة[6]. وأكدت نوازل مازونة أن خروج المرأة في الريف للقيام بهذه الأعمال عادة مألوفة عند أهله، ويبدو أن حياة المرأة الريفية كانت أكثر مشقة من حياة المرأة في المدينة، بسبب النشاطات المضنية، فالزوج يكلف زوجته أعمالا تفوق طاقتها[7]، وقد تكون هذه النشاطات من أسباب تعدد الأزواج. وبسبب مزاولة المرأة مهنة تربية المواشي وخاصة الأبقار والخيول، خلق منطقة غنية بإنتاج الصوف والجلود، والسمن والزبد، بالإضافة لتربية الدواجن والحمام بغرض أكلها وبيعها والاستفادة من فضلاتها لاستصلاح الأراضي[8].

---

(1) نجلاء، سامي النبراوي: المرجع السابق، ص26-27.

(2) نعيمة، بوكرديمي: المرجع السابق، ص73.

(3) عبد الرحمان، بشير: المرجع السابق، ص 132-133.

(4) ابن حزم: المصدر السابق، ص 49-50.

(5) نعيمة، بوكرديمي: المرجع السابق، ص 70-71.

(6) هناء، الشقطمي: الخطاب الفقهي والريف في المغرب الأوسط من خلال الدرر المكنونة في نوازل مازونة، رسالة ماجستير، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة قسنطينة، الجزائر، 2012-2013م، ص 78.

(7) نفسه: ص 78.

(8) عبد المالك، بكاي: المرجع السابق، دكتوراه، ص 255.

وكان للمرأة الريفية الحق في تملك الأرض والمواشي، وهذا ما أوردته لنا نوازل الونشريسي، ففي نازلة أخذت المرأة صداقها عن طريق الأرض: " عن رجل توفي عن زوجته وأولاده وعلى الميت دين من صداقها فطلبت الأولاد بصداقها، فعمد الأولاد إلى جنة للميت وباعوها لتأخذ صداقها"، كما قال: " لا فرق بين الصداق وغيره من سائر الديوم والمراعي ما تعلق به في الذمة على اعتبار أن الماشية عند القبائل الرعوية هي أساس المهر "[1]. وأوضحت نازلة أخرى أن المرأة تستطيع أن تكلف من ينوب عنها في خدمة الأرض وتقول النازلة: " من توفيت عن أرض عمرها زوجها ليزرعها، أترى له أن يزرع أم لا، وإن كان له ذلك فهل عليه قيمة الكراء لورثتها أم لا، فأجاب: فإن كان عمرها الزوج برضى الزوجة فهو أحق بها ويكون عليه كراؤها"[2].

ويتبين لنا من هذه النوازل أن المرأة كان لها حق تملك الأرض والمشاية عن طريق الصداق، والحق في التصرف في أملاكها ومن ينوب عنها في العمل، وعلى الرغم من ذلك عرفت المرأة الريفية حرمانها من الميراث، فلا تورث البنت أو الأخت فيما ترك المورث، وفي حالة مطالبتها بحقها من الميراث يجتمع عليها مشائخ ووجهاء المنطقة ويعطونها هبة يسيرة صلحا، للتنازل عن حقها لبقية الورثة الذكور [3]. وقضية الميراث تعتبر مسألة بلد تواطأ أهلها على منع النساء من الميراث وكيف تجرى المواريث فيه مع جهل من له الحق في ذلك[4]، وفي كثير من الأحيان، يعمد الأب إلى تجهيز ابنته البكر المقبلة على الزواج، بشوار مستشهدا بأنه نصيبها من تركته في حياته، بالتالي ليس لها الحق فيما ترك بعد مماته[5]، عل عكس المرأة في المدينة كان لها الحق في الميراث، فجاء في نازلة: " عمن خالع زوجته على أنها تحملت له هي وأمها مؤونة ابنته، ثم ماتت الجدة بعد مضي عام طلب ورثتها قسم تركتها، وطلب المخالع ما يجب فيها لابنته"[6].

وما يمكن أن نستنتج من خلال الحضور الاقتصادي أن المرأة الريفية برزت في النشاط الفلاحي، أكثر من المرأة في المدينة، بحكم طبيعة الريف والبادية، حيث تستطيع الخروج إلى الحقول والمراعي، بالإضافة لامتلاكها المواشي والجنان عن طريق المهر أو شرائها، والتخفيف من عبء مصاريف الأسرة ببذل جهد مضاعف لمساعدة زوجها وأسرتها.

---

[1] الونشريسي: المصدر السابق، ج5، ص 46، 99.

[2] نفسه: ج8، ص 167.

[3] هناء، الشقطمي: المرجع السابق، ص 80.

[4] الونشريسي: المصدر السابق، ج11، ص 293.

[5] هناء، الشقطمي: المرجع السابق، ص80.

[6] الونشريسي: المصدر السابق، ج4، ص 9.

الفصل الثالث

الحضور الثقافي
للمرأة التلمسانية الزيانية

1-المرأة التلمسانية والتعليم

2-المرأة التلمسانية والتصوف

3-صورة المرأة في الشعر الزياني

تمهيد:

طلب العلم فريضة سواء على الرجل أو المرأة، وهذا ما جاء به ديننا الحنيف، فأول آية نزلت على سيد الخلق نبينا صلى الله عليه وسلم، تحث على طلب العلم، لقوله تعالى: " اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ، خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ، اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ، الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ، عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ"[1]. بهذه الآية الكريمة يتبين أن هذا الدين، هو دين علم ودين حقيقة، ودين منهج ودليل، وتعليم وعقل، وللنساء لهن نصيب من المعرفة والتحصيل ونالوا مكانة علمية رفيعة، فظهرت نساء عدة منذ العصر الأول من الإسلام، امتازوا بعلمهن سواء في الحديث أو الفقه أو الأدب والشعر، وحفظ لنا التاريخ أسماء نساء، أمثال الخنساء بنت عمرو بن الحارث بن شريد(ت24هـ)[2]، لكن هذا لا يلغي حضور المرأة في العصور الوسطى، وبخصوص المرأة المغربية فنجد أنهن كن موجودات على الساحة الثقافية وبرزن في عدة مجالات، وبما أن موضوعنا يتحدث على المرأة التلمسانية خلال العهد الزياني، الذي ازدهرت الحياة الثقافية فيه، فكان للمرأة حضورها سواء عن طريق تعليما أو زهدها داخل المجتمع.

1-المرأة التلمسانية والتعليم:

يعد التعليم من العوامل الأساسية الهامة التي تدفع عجلة الحركة الفكرية والتقدم والازدهار وترقية العلوم والآداب ونشر الثقافة والعلم بين أفراد المجتمع، وترقيته سلوكيا وحضاريا، ولا يكون هذا التطور الحضاري دون تعليم المرأة، بحكم طلب العلم فريضة على الرجل والمرأة[3]. هذا ما تطرقت إليه نوازل الونشريسي، الذي ذكر في نازلة حكم تعليم الرجل للمرأة بقوله: " وإنما يجب على مثلكم تعليم زوجته ما يلزمها من العقائد وفروع الشريعة"[4].

وكان التعليم بتلمسان يتم داخل مؤسسات تعليمية من مساجد وكتاتيب وزوايا ومدارس، عمل السلاطين الزيانيين على تشييدها بنمط المدارس النظامية بالمشرق سواء تدرس فيها النقلية أو العقلية[5]. أما السن المحددة للالتحاق بالمؤسسات التعليمية فقد كان بين سن الخامسة والسابعة، ومعظم الأسر الزيانية ترسل أبنائها إلى الكتاب لتلقي تعليمهم الأول، كما بهدف الحفاظ على المساجد من النجاسة، حيث أفتى

---

(1) سورة العلق: الآية من 1 إلى 5.

(2) الخنساء بنت عمرو بن الحارث بن شريد: وتسمى تماضر، شاعرة شهيرة وصحابية جليلة قدمت على رسول الله صلى الله عليه وسلم مع قومها من بني سليم وأسلمت معهم، فكان النبي صلى الله عليه وسلم يعجبه شعرها، ويقول: هيه يا خناس ويومي بيدة ولما قدم عدي بن حاتم على الرسول صلى الله عليه وسلم وحدثه، فقال يا رسول الله : إن فينا أشعر الناس وأسخى الناس وأفرس الناس، قال : سمهم، قال: أما أشعر الناس فأمرؤ القيس بن حجر، وأما أسخى الناس فحاتم بن سعد يعني أباه، وأما أفرس الناس فعمر بن معد يكرب، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم، ليس كما قلت يا عدي أما أشعر الناس فخنساء بيت عمرو، وأما أسخى الناس فمحمد يعني نفسه، وأما أفرس الناس فعلي بن أبي طالب. وأجادت الخنساء في شعرها لأخوها صخر، توفيت بالبادية في أول خلافة عثمان رضي الله عنه سنة 24هـ. ينظر: عمر رضا، كحالة: أعلام النساء في عالمي العرب والإسلام، ج1، دط، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، دت، ص360، 371.

(3) عبد العزيز، فيلالي: المرجع السابق، ج2، ص 338، 355.

(4) الونشريسي: المصدر السابق، ج3، ص 270.

(5) هوارية، بكاي: المرجع السابق، ص41.

الكثير من الفقهاء بعدم جواز التعليم داخل المساجد ومنهم الإمام مالك بقوله: " لا أرى ذلك يجوز لأنهم لا ينظفون من النجاسة". أما أوقات الدراسة فكانت طيلة أيام الأسبوع ماعدا الخميس والجمعة وعطل الأعياد الدينية (كالفطر والأضحى)، والأيام التي يختتم فيها القرآن الكريم[1]، وأشارت إحدى الباحثات إلى اهتمام الأسرة الزيانية بريف تلمسان بتعليم المرأة، إذ أخذت حظها من العلم إلا أن التعليم كان مختلطا، فنجد الإمام يدرس الذكور والإناث في بيته ولا حائل بينهم[2]. والملاحظ أن الفقهاء لم يعارضوا تعليم المرأة، إلا أنهم اشترطوا عدم اختلاطها مع الذكور[3]، وأهم هؤلاء الفقهاء اللذين أجازوا للمرأة التعليم:

*عبد الله بن محمد بن محمد العبدري، من خلال تطرقه في كتابه المدخل لابن الحاج في فصل وجوب تعليم المرء أهله العلم، وأكد على ضرورة تعليم الزوج لزوجته أمور الدين أولا، وكل ما يحتاجون إليه من أمر دينهم، الإيمان والإحسان والوضوء والاغتسال للصلاة وما إلى ذلك من الفرائض والسنن، لإنه مسؤول عنها، وقد اعتمد في ذلك على حديث الرسول صلى الله عليه وسلم: "كلكم راع وكل راع مسؤول عن رعيته"، وقال في ذلك: " وينبغي أن يتفقد أهله بمسائل العلم فيما يحتاجون إليه... من أمر دينهم الأهم فالأهم"[4].

*يلاحظ أن الونشريسي ذهب إلى ما جاء به عبد الله بن محمد العبدري، وأكد على تعليم المرأة من طرف زوجها وأبيها، ما يلزمها من العقائد وفروع الشريعة، فالأب مكلف بتأديبها بآداب الشريعة والقيام بأمرها كله، وإذا امتنعت يؤدبها بالضرب، أما الزوج فيلزمها أن تتعلم كل أمور الشريعة، وإذا امتنعت أيضا فيؤدبها بالضرب والهجران، ويمكن للزوج أن يسمح لزوجته بالخروج لتلقي العلم، لكن من وراء حجاب، وقال في ذلك: " وكون الزوج يأذن لكم في ذلك أو يوكلكم عليه، فلا يجوز له ولا لكم ذلك، لأن ذلك مما تصح النيابة فيه مطلقا وإن سألتكم عن شيء فلا يكون السؤال إلا من وراء حجاب كما أمر الله تعالى"[5].

وكانت مقررات الكتاتيب هو القرآن الكريم، فقد كانت العناية به شديدة، يتم تلقينه وتحفيظه للناشئة في سن مبكرة، وقد يبدأ المعلم بإعراب بعض آياته، وتفسير غريبه وجيزا، وطريقة ترتيله وتجويده، كما يعلمه مبادئ العلوم التي تعينهم على فهمهم معاني القرآن، وفضل هذه الطريقة عبد الرحمان بن خلدون، لأنها تلائم عقلية الصبيان، ويتقبلها مستواه الفكري، ويبدو أن هذه الطريقة كانت سائدة في حاضرة تلمسان، ولكنها تغيرت بوصول علماء الأندلس إليها، واستقرارهم فيها وامتهانهم التعليم، وكذلك عودة بعض شيوخ تلمسان من المشرق وإفريقية، وعلى رأسهم ابني الإمام وعمران المشذالي، اللذين تأثروا بمنهج المشارقة وأهل إفريقية ونقلوه إلى تلمسان خلال القرن الثامن هجري[6]، فأدخلوا بعض المواد الجديدة والعلوم الأخرى كرواية الشعر وقواعد اللغة العربية والكتابة، وتجويد الخط والحديث، ووقوفهم على رواية القرآن ومختلف قراءاته مما انعكس

---

(1) قاسمي، بختاوي: التعليم بالكتاب في المغرب الأوسط أيام حكم بني عبد الواد، مجلة كان التاريخية، ع12، 2011م، ص31-32.

(2) هناء، الشقطمي: المرجع السابق، ص88.

(3) قاسمي، بختاوي: المرجع السابق، ص33.

(4) ابن الحاج: المصدر السابق، ج1، ص209.

(5) الونشريسي: المصدر السابق، ج11، ص229.

(6) محمد، مكيوي: العلاقات السياسية والفكرية المغاربية للدولة الزيانية منذ قيامها حتى نهاية أبي تاشفين الأول (633هـ/1236م-737هـ/1337م)، رسالة دكتوراه في الفنون، جامعة أبي بكر بلقايد، تلمسان، الجزائر، 2007-2008م، ص132-133.

إيجابا على مستوى التعليم[1]. وأهم المواد التي تستعمل للتعليم، كانت عبارة عن ألواح خشبية وأقلام من القصب وقطع من الصلصال ودواة من الصمغ والصوف وجِرَارٍ ماء وبعض الأواني البسيطة، ومجموعة من المصاحف وكتب النحو والسير.

أهم كتاتيب العهد الزياني، كتاب مصطبة مرسى الطلبة بتلمسان[2]. ويلاحظ أن أهل تلمسان يسمحون للمرأة بالتعلم في المرحلة الأولى فقط (الكتاتيب) حتى سن معين، بعدها تتحمل مسؤولية البيت والإنجاب وتربية الأطفال، وربما يكون عددهن قليل جدا بالنسبة للذكور[3]، ولعل ذلك يرجع إلى الصعوبات التي تواجهها المرأة، دون مواصلتها لمشوارها العلمي، كالرحلة في طلب العلم عبر حواضر البلاد الإسلامية، وما يترتب عليه من مصاعب، يستعصي أحيانا على الرجل تحملها[4]. لكن هذا لا ينطبق على المرأة في الفئة الحاكمة أو البيوتات العلمية، فقد كان لهن نصيب وافر من العلم، ويأتي في مقدمتهن بنات البيت الحاكم، أما البيوتات العليمة فقد كانت تحرص على تعليم بناتها جل العلوم، التي يتعلمها الذكور، كتنظيم الشعر، وحفظ الحديث، والأدب والفقه، ولعل الذي يسهل تعلم البنات في البيوتات العلمية هو توارث العلم في أبناءها[5]. كما خصصت هذه الفئات (الفئة الخاصة، البيوتات العلمية)، مدرسين لبناتهم يدرسونهن في منازلهن[6].

ومن النساء التي توارثت العلم عن أهلها اللذين كانوا من العلماء، زينب بنت الشيخ الصالح أبي إسحاق إبراهيم بن محمد الدلايلي[7]، وكانت من الصالحات فورثت عنه الجاه والعلم[8]. بالإضافة إلى أم بن زكري[9]، التي كفلت ابنها بعد وفاة ابنه وتركه صبيا صغيرا علمته الصنعة وأدخلته عند معلم يتعلم الحياكة بالإضافة إلى العلم[10]. وفاطمة بنت أبي زيد النجار، وهي من الصالحات[11].

---

(1) قاسمي، بختاوي: المرجع السابق، ص33.

(2) نفسه: ص31.

(3) عبد العزيز، فيلالي: المرجع السابق، ج2، ص355.

(4) قاسمي، بختاوي: المرجع السابق، ص 33.

(5) حسين، إسكان: تاريخ التعليم بالمغرب خلال العصر الوسيط (القرن 1هـ-9هـ/7-15م)، دط، مطبعة المعارف الجديدة الرباط، 2004م، ص36-37.

(6) عبد العزيز، فيلالي: المرجع السابق، ج2، ص355.

(7) الصالح أبي إسحاق إبراهيم بن محمد الدلايلي: بنا دار المعرفة، قرأ القرآن الكريم على جماعة من مشيخة عصره، اشتغل بقراءة الفقه والحديث، واشتغل حيزا بكتب التصوف، وانقطع للعبادة وتخلى وتجرد. ينظر: ابن مرزوق: المصدر السابق، المناقب، ص149.

(8) نفسه: ص 149.

(9) أحمد بن محمد الزكري: الفقيه الأصولي، من بين شيوخه الولي الصالح، أحمد بن محمد بن عبد الرحمان بن زاغو، اشتغل بالتعليم والتدريس، يكرر المسألة الواحدة، ثلاثة أيام أو أربعة حتى يفهمها العام والخاص انتفع به المسلمون وجميع من يحضر مجلسه لطلب العلم، من مؤلفاته بغية الطالب ومنظومته الكبرى في علم الكلام، فيها أكثر من 1500بيت وغيرها، وله فتوي كثيرة منقولة في كتاب المعيار للونشريسي، وأخذ عنهم جماعة منها سيدي أحمد زروق، وأحمد بن الحاج، توفي سنة 900هـ وقيل في صفر 899هـ، وقبله مشهور بروضة الشيخ السنوسي. ينظر: ابن مريم: المصدر السابق، ص39-41.

(10) نفسه: ص39.

(11) ابن مرزوق: المناقب، المصدر السابق، ص168.

أما الإجازات العلمية التي كانت تجيزها المرأة الزيانية للعلماء، فلم نلاحظ ذلك إلا أننا ارتأينا أن نذكر أن أحد العلماء الزيانيين والمعروف بابن مرزوق الخطيب، فقد أخذ إجازة من إحدى عالمات مكة المكرمة، المدعوة بفاطمة بنت محمد بن إبراهيم الطبري المكية[1].

كما نجد للمرأة الزيانية حضورا في مجال الشعر والثقافة، حيث وجدت ضالتها في ذلك، فراحت تنظم الشعر وتعبر عما يختلجها في صدرها حتى أصبح جزء من حياتها اليومية[2]. أما النساء التي نافسن الرجال، وكن يجالسن الفقهاء والعلماء مؤمنة التلمسانية التي ذكرها بن قنفد القسنطيني صاحب كتاب أنس الفقير فقال: " ورأيت منهم بفاس المرأة الصالحة مؤمنة التلمسانية تخصني بالدعاء في ظهر الغيب، وكان قاضي الجماعة بفاس أبو عبد الله المقري يزورها ويسعى في قضاء حوائجها، لا تخالط أحدا، كان الشيخ الصالح علي بن عبد الوهاب يكتب لها لوحها ويبادر به"[3].

يظهر لنا مما سبق أننا لم نجد في حقل المعرفة والتعليم، أسماء لنساء من الفئة العامة ما عدا البيوتات العلمية، التي حظيت بناتهم بتعليم وافر بسبب البيئة المحيطة بها، لكن هذا لا ينفي دور المرأة التلمسانية الزيانية في مجال التعليم فيكفيها أن تربي أولادها وتدفعهم إلى طلب العلم.

2-المرأة التلمسانية والتصوف:

ظهرت حركة التصوف في المغرب الأوسط، خلال القرنين 6-7هـ / 12-13م، نتيجة ارهاصات دينية، سياسية واجتماعية واقتصادية[4] وتعود جذورها إلى القرن 3هـ/9م، تخمرت عبر قرون وتمخض عنها ميلاد الحركة الصوفية، التي بدأت معالمها تتضح خلال القرن 6هـ/12م[5].

ويقصد بالتصوف، عزوف النفس عن الدنيا، العكوف على العبادة، الانقطاع إلى الله، الاعراض عن زخرف الدنيا وزينتها وممارسه يدعى بالصوفي[6]. وأكثر العلماء يرون أن أصل كلمة صوفي يرجع نسبه إلى الصوف، لموافقته لما كانت عليه حياتهم المعروفة بالزهد والتقشف[7]، وأشارت بعض الدراسات بدأ بالمغرب الإسلامي تصوفا نظريا[8]، ثم تحول ابتداء من القرن 9هـ/15م واتجه إلى الناحية العملية الصرف، وأصبح يطلق عليه " تصوف الزوايا والطرق الصوفية"، وقد ظل هذا التصوف العملي[9] سائدا

---

(1) نعيمة، بوكرديمي: المرجع السابق، ص 74.

(2) نفسه: ص 75.

(3) ابن قنفذ القسنطيني أبي العباس أحمد الخطيب: أنس الفقير وأعز الحقير، تص: محمد الفاسي، وأدولوف فور، دط، منشورات المركز الجامعي للبحث العلمي، الرباط، المغرب، 1965م، ص80.

(4) لمعرفة أهم عوامل ظهور حركات التصوف في المغرب الأوسط ينظر إلى: الطاهر، بونابي: المرجع السابق، ص 47 -101.

(5) نفسه: ص 47.

(6) نفسه: ص 34.

(7) صلاح مؤيد، العقبي: الطرق الصوفية والزوايا في الجزائر، تاريخها ونشاطها، دط، دار البراق، بيروت، لبنان، 2002م، ص 35.

(8) التصوف النظري يخوض فيه العلماء والطبقة المثقفة، يركز على الجانب النظري من الفكر الصوفي، ويتطلب مستوى معين من الثقافة والعلم وأن يكون صاحبه على اطلاع واسع بأحكام الشريعة الإسلامية. ينظر: عبد المنعم، القاسمي الحسني: أعلام التصوف في الجزائر، منذ البدايات إلى غاية الحرب العالمية الأولى، ط1، دار الخليل القاسمي للنشر والتوزيع، بوسعادة، الجزائر، 2005م، ص25.

(9) التصوف العملي هو الذي يركز فيه المريد على بعض الممارسات الفردية أو الجماعية مثل حلقات الذكر والرقص والإنشاد. ينظر: نفسه، ص25.

في جميع أنحاء المغرب العربي حتى بعد سقوط الدويلات الثلاث (الزيانية، الحفصية والمرينية) ودخول الأتراك العثمانيين وأول من نشر التصوف في المغرب الأوسط هو الشيخ عبد السلام التونسي، أبو مدين الغوث، أحمد زروق، وأحمد بن يوسف الملياني وغيرهم[1].

وفي دراستنا حول التصوف والمرأة التلمسانية الزيانية، سنحاول تقديم رؤية دينية، نبرز كيف فسح التصوف المجال للنساء، ومنحهن فرصة كي يثبتن ذواتهن بدون عقدة، بل ويتفوقن على الرجال، من خلال تدينهن وصلاحهن بالمعرفة الباطنية والممارسة الصوفية.

لقد فتح التصوف بابا جديدا للمرأة كي تثبت وجودها[2]، وتحررها من أشكال الإكراه الاجتماعي الذي كان يمارسه الرجل على المرأة، فخروجها من التزامات الفقهاء الذي سلم بعضهم بجواز شهادة الصالحات من النساء[3].

وأشارت دراسات أن ظاهرة التصوف النسائي، نشأ ضمن البيوتات الصوفية، فقد أدى وجود المرأة في البيت الصوفي إلى تولد لشعور عندها بالانتماء إلى التصوف، لكن ضمن مستوى من الزهد والتقشف والورع والمجاهدات، أطلق عليه كل من بن مرزوق الخطيب وابن قنفذ القسنطيني اسم الصلاح[4]. فكانت النساء المتصوفات بتلمسان الزيانية، يجالسن الفقهاء والعلماء عندما أتت جماعة من النساء نزلوا عند ابن مرزوق، فقام بضيافتهن وجالسهن وتحدث إليهن، وكن نساء صالحات[5].

ومن بين الزاهدات التي عرفتهم الدولة الزيانية ضمن البيوتات الصوفية، نذكر:

*عائشة بنت الفقيه أحمد بن حسن المديوني، جد الإمام ابن مرزوق لأمه، من الصالحات، ألفت مجموعة من الأدعية، ولها قوة في تفسير الرؤية[6].

*عائشة بنت أبو عبد الله الكتاني، من الصالحات، متزهدة، ورعة، ملازمة للعبادة، محبة للخلوة[7].

*فاطمة بنت العالم التاجر أبي زيد النجار، الجد الأكبر لابن مرزوق الخطيب[8].

أما خارج البيوتات الصوفية اتسم الوضع على الصعيد الاجتماعي، بالنسبة للمرأة التلمسانية بمعاناتها من أشكال الإكراه الاجتماعي، كحرمانها من الميراث فضلا على ما كانت تعانيه من إكراه بدني من طرف زوجها، زد على ذلك تضييق الخناق عليها أن حرم عليها الفقهاء حلقات الذكر والرقص والغناء والاجتماع بالرجال ليلة الجمعة وعاشوراء، وعدم السماح لها فريضة الجماعة، فشكل هذا المناخ خنقا لحريتها فأدركت أهمية حقل التصوف لحمايتها من أشكال الإكراه الاجتماعي، مما جعلها تعتبره الخلاص بوضعهن

---

(1) عبد المنعم، القاسمي الحسني: المرجع السابق، ص25-26.

(2) رحال، بوبريك: بركة النساء، الدين بصيغة المؤنث، دط، منشورات افريقيا الشرق، المغرب، 2010م، ص15.

(3) الطاهر، بونابي: الحركة الصوفية في المغرب الأوسط خلال القرنين 8-9هـ/14-15م، رسالة دكتوراه، جامعة الجزائر، 2008/2009م، ص397.

(4) نفسه: ص397.

(5) ابن مرزوق: المناقب، المصدر السابق، ص156.

(6) ابن مريم: المصدر السابق، ص2012.

(7) ابن مرزوق: المصدر السابق، ص149.

(8) عبد العزيز، فيلالي: المرجع السابق، ج2، ص355.

في كفالة الصوفية والأولياء[1]. لكن التجربة الصوفية للمرأة باعتبارها ولية صالحة، بقي تصورها حكرا على الكتابات الذكورية ولم تعبر عنها المرأة بصفة مباشرة، إذ أن التصوف الشعبي سمح ببروز حضور أنثوي محتشم ومتحك فيه في ظل هيمنة الرجل المتصوف[2]. وعلى الرغم من قلة النساء المتصوفات أو الصالحات، مقارنة بالرجال المتصوفين، إلا أن تيار التصوف كان أكثر تقبلا لحضور المرأة داخله، ولكن يكي تظفر المرأة بموقع داخل التصوف والصلاح عليها أن تعمل على اثبات صلاحها وتعمل على الظهور بمظهر الرجال[3]. فابن قنفذ قدم لنا صورة واضحة عن نشاط المتصوفة الرجال خلال الفترة الزيانية من تعبد ومعرفة وزهد ورفض للدنيا وقناعة بالقليل وخلوة[4]. وسارت المؤمنة التلمسانية خلال القرن 8هـ/14م، على هذه الصورة من زهد ورفض للدنيا وتقشف وعبادة، حسبنا في ذلك ما ذكره ابن قنفذ في قوله: " كانت تنقطع على مخالطة الناس، في رجب وشعبان ورمضان، ولا تساكن أحدا ولا يراها في زمن انقطاعها أحد من الناس ولا تكلمه، وكان لباسها بسيطا يتمثل في جُبَّةِ صوف، وبهذا يتبين لنا الجهد الذي كان تبذله المؤمنة التلمسانية من لباس بسيط، والانقطاع عن الناس وعملت على كسب قوتها من غزل يديها[5].

وتطرق ابن مرزوق إلى وصف زهد وورع ابنة الفقيه أبو عبد الله الكتاني زوجة أبو عبد الله محمد بن محمد بن أبي بكر بن مرزوق (ت681هـ/1282م): " أخبرني شيخنا أبو العباس بن القطان وعمي رحمه الله تعالى، أنها كانت ملازمة للعبادة مع زوجها رحمه الله تعالى، مقتصرة على ما يقتصر من القوت متورعة أكل طعام أبيها، مباعدة لأهلها"[6]. " وأخبرني أن خادما من خدمها توجهت ليلة لدار أبيها، فسألها عن عشاء ابنته وزوجها، فقالت له الخادمة: أما نحن فتعشينا، وأما مولاتي وسيدي فما أظنهما طبخ لهما عشاء، فكانت بين يديه مائدة بأطعمة فوجهها للحين، وذلك قبل أن يعرف حالها، سألت عن السبب لتوجيهها، فأخبرتها الخادمة، وكانت موهوبة لها من أبيها، فلما كان الغد وجهتها لدار أبيها وأعتقتها، وقالت: ما جزاء الخادم التي تتحدث بأخبار المرأة مع زوجها إلا الإخراج، فلما علم والدها حالها خلى سبيلها". كما أحبت الخلوة بموضع يعرف بالكهف الضحاك تنفرد بنفسها هناك[7]. وكذلك أم الفتح الشهيرة بفتحون (ت724هـ/1323م)، وكانت مجابة الدعوة، وقد سئلت الله أن تموت في بيت المقدس فكان لها ذلك[8].

لكن الجسد شكل بالنسبة للمرأة المتصوفة عائقا للتدرج في مراتب الصلاح، وثابرت في القضاء على معالم الجمال، التي قد تظهر عليها[9]، فالعديد من المتصوفات كن جميلات المظهر، ولكن بدخولهن

---

(1) الطاهر، بونابي: المرجع السابق، دكتوراه، ص 399-400

(2) مراد، جدي: التدين الصوفي في طبعته النسوية ورهان النوع الاجتماعي، لالة ميمونة رمز الصلاح الانثوي، مجلة الدراسات والأبحاث، مؤمنون بلا حدود، نوفمبر 2016، ص2.

(3) نفسه: ص7.

(4) ابن قنفذ القسنطيني: المصدر السابق، ص33.

(5) نفسه: ص 80-81.

(6) ابن مرزوق: المصدر السابق، المناقب، ص149.

(7) نفسه: ص149-150.

(8) الطاهر، بونابي: المرجع السابق، دكتوراه، ص400.

(9) رحال، بوبريك: المرجع السابق، ص57.

عالم التصوف، تبدلت أحوال أجسادهن تماما لتختفي علامات الحسن. وقدم لنا بن الزيات وصفا لذلك عن امرأة صالحة مجهولة: " فرأينا عجوزا قد لسق جلدها بعضمها وعليها كساء خلق وساقها مكشوفة، ليس عليها سراويل، فعجبنا من شأنها، فقال لنا بعض المرديين: أعرف هذه العجوز وهي امرأة صالحة تسكن بحومة باب أغمات من مراكش"[1]. يتضح لنا من خلال هذه الواقعة أن المرأة المتصوفة حتى لو كانت صغيرة السن تحاول أن تظهر بمظهر العجوز للتقليل من إظهار مفاتنها.

ورغم هذه العراقيل استطاعت المرأة التلمسانية الحضور في عالم التصوف والصلاح على قلتهن، وإغفال كتب التاريخ لهن، لكن الذاكرة الشعبية خلدت أسماء نساء لم يرد ذكرهن في الكتابات المناقبية مضيفة عليهن طابع القداسة، وجاعلة من قبورهن مزارات للتبرك وناسجة قصصا أسطورية على قدراتهن الخارقة للمألوف[2]، مثل لالة ستي ولالة مغنية[3]. فالاعتقاد في كرامة الولية وقداستها وقربها من الله حتى بعد موتها، جعل العامة تسارع إلى التبرك بها، ليس فقط بشكل فردي بل حتى جماعي وبانتظام في مواسم سنوية، وكان لنساء التصوف مكانة خاصة عند النساء، فقبورهن تصبح مكان لزيارتهن طالبين منهن أمورا تتعلق بالنساء، كالزواج، الإنجاب، وفك السحر وضمان دوام الزواج، وغيرها من الطلبات، حتى أصبحنا نرى نوعا من التخصص: "فهذه الولية مختصة في الزواج وتلك في الإنجاب وأخرى في السعد والنحس...إلخ[4].

ومن موضع الثقة صارت المرأة الصالحة التلمسانية أحد المصادر الأساسية في رواية أخبار الصوفية والصلحاء، فقد اعتمد بن مرزوق الخطيب في رصد أخبار ومناقب صوفية أسرته، وصوفية تلمسان ضمن مجموع روايات النساء الصالحات، ويعكس ذلك استخدامه لعبارات: " أخبرتني الصالحة المباركة، فاطمة بنت الشيخ العالم أبي عبد الله محمد بم عبد العزيز... "،" وحدثتني الشيخة الصالحة عائشة بنت لكحل وكانت من الصالحات..."، " وحدثتني الشيخة الصالحة أم الفتح..."[5]. والكثير من الصالحات نجهل تقريبا كل شيء عن تاريخهن وحتى أسماءهن ولا يبقى منها إلا نعت " امرأة مجهولة" خصوصا في منطقة المغرب، يعتبر اسم المرأة خاصا جدا ولا يمكن البوح به، سواء كانت زوجة أو أما أو أختا أو بنتا[6]. فالموضوع في حد ذاته، يرمز إلى حرمة البيوتات التي كان لا يجوز الحديث عنها وحتى النخبة المثقفة آنذاك، كابن مرزوق الخطيب وبن قنفذ القسنطيني، كانت روايتهن محدودة ومضبوطة بخطوط لا يمكن تجاوزها، وإن كان بن مرزوق قد أظهر لنا نوعا ما في كشف أسماء الصالحات، على عكس ذلك تماما فابن قنفذ تكتم عن ذكر اسم والدته ولم يفصح عنها[7].

---

(1) ابن الزيات: المصدر السابق، ص386.

(2) مراد جدي: المرجع السابق، ص59.

(3) نعيمة، بوكرديمي: المرجع السابق، ص75.

(4) رحال، بوبريك: المرجع السابق، ص157.

(5) الطاهر، بونابي: المرجع السابق، دكتوراه، ص 397.

(6) مراد، جدي: المرجع السابق، ص9-10.

(7) الطاهر، بونابي: المرجع السابق، دكتوراه، ص 398-400.

ساهمت المرأة الصالحة التلمسانية في أعمال الخير، كتأسيسها للزاوية وحبس الأرض المزروعة، فضلا عن أشكال الهبات التي كانت تقدمها في أوجه الخير وخدمة الدين مثل هبات المسجد والزاوية، وعتقها وافتداءها للأسرى[1]. كما كان لها الحق في أعطيات السلاطين للزوايا، وحسبنا في ذلك نازلة الونشريسي:" حكم ما يعطيه الملوك للزوايا وأبناء الصالحين"، فأجاب أن يقدموا رجلا فاضلا منهم يتولى القسمة بينهم، ولا تحرم المرأة الصالحة بينهم[2]. في حين ذم الفقهاء بعض التصرفات التي كن النسوة يقمن بها، من رقص وغناء وتزين وهذا ما جاء به العقباني في قوله: " أما ما يقع في بلدنا ووطننا من اجتماعهن على احتفال وتتزين، فيحلقن دائرة على رجل غير محرم يغنيهن ويطربهن فمحرم اتفاقا"[3].

على الرغم أن المرأة الزيانية التلمسانية، استطاعت بممارستها الدينية الصوفية، أن تجد موقعا لها، إلا أن حضورها على المستوى العام داخل الحقل الصوفي ظل متحكما من طرف الصلاح الرجولي، لتكتم الكتب المناقبية عن أسماء النساء المتصوفات، وإن ذكرن كان قلة أو تحت نعت "امرأة مجهولة".

3-صورة المرأة في الشعر الزياني:

عرفت الدولة الزيانية ازدهارا في الحياة الثقافية والفكرية، وذلك لما شهدته من تطور في الفنون والأدب والشعر، هذا الأخير كان للمرأة حضورا فيه. فالشاعر الزياني وجد في المرأة، خير وسيلة تجسد إحساسه بالجمل وتذوقه له، والغزل أكبر عون في رسم المرأة وأعضاء جسدها، حركاتها، تنقلها ومنهاج عيشتها، مبينا أثر العصر الذي عاشت فيه مصورا الحرقة والأسى والنعيم والسعادة عند الشاعر ومعشوقه[4].

ونظمت نصوصا غزلية رائعة ضاهت في بيانها ورونقها أشعار الغزليين في المشرق، فعبروا عن إحساسهم اتجاه المرأة على الرغم من الظروف السياسية والعسكرية التي عرفتها الدولة الزيانية[5]. فتحدث الشعراء عن جملة من المواصفات، التي ينبغي توفرها في المظهر العام للمرأة منها:

-<u>طول القامة</u>: أحب العرب المرأة الطويلة، وهم يقصدون بالمرأة الطويلة المعتدلة القوام، وليست الطويلة طولا فاحشا، يتنافى مع الذوق السائد في بيئتها، يقول أحمد محمد الحوفي: أحب المرأة الطويلة، ولا أقصد بالطول أن تفرع الرجال، وإنما أقصد ألا تسمى قصيرة، وذلك أنسب لشكلها وقوامها...[6]. وحسبنا في ذلك ما عبر عليه الشعراء، من بينهم بن خلوف القسنطيني (ت899هـ/1494م) " السريع":

---

(1) الطاهر، بونابي: المرجع السابق، دكتوراه، ص401.

(2) الونشريسي: المصدر السابق، ج6، ص172.

(3) العقباني: المصدر السابق، ص302.

(4) دحمان، ميلودي: صورة المرأة في الشعر الجزائري القديم – العهد الزياني نموذجا –رسالة ماجستير، قسم اللغة العربية وآدابها، جامعة قاصدي مرباح، ورقلة، الجزائر، 2009/2008م، ص46.

(5) إبراهيم، قادة: صورة المرأة في الشعر المغربي حتى نهاية القرن 8هـ، رسالة ماجستير، قسم اللغة العربية وآدابها، جامعة الحاج لخضر، باتنة، 2009/2008م، ص183.

(6) دحمان، ميلودي: المرجع السابق، ص52.

غُصْنٌ يَمِيلُ إِلَى الوَاشِي وَلاَ عَجَبٌ   فَلِلْغُصُـونِ كَمَا قَدْ قِيلَ مَيَـلَاتُ
يَاكَمْ أَمَالَتْ قَاسِمَـاتُ الدَلَالِ وَهَـلْ   إِلَّا لِكَسْرِ الْحَشَى تِلْكَ الأَمَالَاتُ

ففي هذا النموذج عمل الشاعر على استنطاق الصورة الحسية لمحبوبته، واتضح ذلك من خلال توظيف ابن خلوف، لعناصر الجمال المادي والحسي في تشبيه القد أو الطول بالغصن المائل، فالحبيبة من خلال هذا الوصف غدت روضة قد تجلى بكل آيات الحسن والبهاء[1].

وما يستحسن ذكره ما قيل في القوام وتشبيهه بالرمح، ما قاله أحمد بن حجلة "الطويل":

حَبِيبُ تَعَـالِي قَدُّهُ حِينَ سُمْتُـهُ   وَقَالَ قِوَامِـــي رُمْحُهُ مَــــا يَقُـومُ
وَخَطَ عَذَارِي أَعْجَمُ الخَالِ لامُهُ   وَلَمْ أَدْرِ أَنَّ اللاَّمَ فِي الخَطِ يُعْجَمُ[2]

وهذا ما ذهب إليه محمد بن عمر المليكشي البجائي (ت 740هـ/1339م)، له شعر أنيق، شبه معشوقته بالغصن الطري، وهي تتمايل وتتجه شرقا وغربا " البسيط":

وَتَمَايِلُكَ كَالْغُصْنِ أَخْصَلَهُ النَّدَى   رَيَانٌ مِنْ مَاءِ الشَبِيبَةِ مُخَصَبٌ
فَتَرَاهُ بَيــْنَ المَشْرِقِ وَالمَغْــرِبِ   تَثْنِيهِ أَرْوَاحِ الصَبَابَــةِ وَالصَـبَى[3]

وتفضيل المرأة الطويلة، لا يعكس ذوقا فرديا وحده، بل يعكس ذوقا جماعيا مشتركا ومتوارثا[4]. فقد كان العرب يستحسنون في المرأة طول أربعة: " وما يستحسن في المرأة طول أربعة وهي: أطرافها، قامتها، شعرها، عنقها، وقصر أربع: يديها، رجليها، لسانها، وعينيها، والمراد به القصر المعنوي، فلا تبذر ما في بيت زوجها، ولا تخرج من بيتها، ولا تستطيع بلسانها، ولا تطع بعينيها"[5].

–<u>الخصر :</u> ما يزيد قوام المرأة جمالا دقة خصرها وضموره، فالشاعر عفيف الدين سليمان بن علي التلمساني، يصور لنا حبيبته، وقد بدت ضامرة الخصر في قوله "البسيط":

نَادَى ضَنِّى خِصْرَهُ مَنْ يَشْتَرِي سَقَمًا   مِنِي لِيَفْنَى فِي الحُبِ قُلْتُ أَنَا

فالشاعر يبين لنا أن هذه المرأة سحرته بجمالها، مما جعله يعبر عن إعجابه به إعجابا بلغ حد الفناء، وكان الشاعر يحصر جمال المرأة في دقة خصره فهو سر حسنها وجماله[6]. كما أن هناك بعض الرجال يفضلون المرأة البدينة ويقولون: " السمنة نصف الحسن، وهذا يستر كل عيب في المرأة ويبدي محاسنها، ولهذا قيل جميلة، لأن الجميلة السمينة من الجمل وهو الشحم"[7].

---

(1) سعاد، الوالي: الرمز الأنثوي في القصيدة المولدية، ديوان جنى الجنتين في مدح خير الفرقتين، لابن خلوف القسنطيني (نماذج منتقاة)، مجلة المخبر، أبحاث في اللغة والأدب الجزائري، ع9، جامعة بسكرة، الجزائر، 2013م، ص145.

(2) شهاب الدين أحمد بن حجلة المغربي المعروف بابن أبي حجلة: ديوان الصبابة، دط، دار مكتبة الهلال للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، 1980م، ص46.

(3) الحفناوي: المرجع السابق، ج1، ص 175.

(4) دحمان، ميلودي: المرجع السابق، ص 51.

(5) ابن أبي حجلة: المصدر السابق، ص40.

(6) دحمان، ميلودي: المرجع السابق، ص51.

(7) ابن أبي حجلة: المصدر السابق، ص 41.

-الوجه: أما في ملامح الوجه شببه البعض منه بالحروف، وأكثر من ذلك شبهوا الحاجب بحرف النون، وهذا ما أورده ابن حجلة التلمساني بقوله "البسيط":

يَرْنُو إِلَيَّ بِعَيْنٍ نُونِ حَاجِبُهَا   كَالقَوْسِ تَصْمِي الرِّمَايَةَ وَهِيَ مِرْنَانٌ(1)

والشاعر الشاب الظريف (661هـ-688هـ/ 1263-1289م)، يصف لنا وجه حبيبته، أنه أجمل من البدر في قوله "الطويل":

بِلَا غَيْبَــةٍ لِلْبَدْرِ وَجْـهَكِ أَجْمَلُ   وَمَا أَنَا فِيمَـــا قُلْتُهُ مُتَجَمِلٌ
وَلَا عَيْبَ عِنْدِي فِيكِ لَوْلَانَا صَيَا   نَةٌ لَدَيْكِ بِهَا كُلُ امْرِئٍ يَتَبَذَلُ(2)

وآخر يشبه وجه إحدى الفتيات التي أقدمت على زيارته ليلا، بالشمس لبياضه وصفائه "البسيط":

فَتَاةٌ حِينَ زَارَتْنِي عَشَاءًا   رَأَيْتُ الْشَّمْسَ لَيْلًا وَسَطَ دَارِي(3)

وقال الشاعر محمد بن عمر المليكشي البجائي (ت740هـ/1339م)، عن بدوية افتتنته بجمال وجهها " الرجز ":

وَتَدَلَّلَتْ فَذَلَّلَـتْ بَعْدَ تَعَــزُّزٍ   يَأْتِي الْغَرَامُ بِكُلِ أَمْرٍ مَعْجَبِ
بَدَوِيَّةٌ أَبْدَى الْجَمَالُ بِوَجْهِهَا   مَا شِئْتَ مِنْ خَدٍ شَرِيقٍ مُذَهَبِ
تَدْنُو وَتَبْعُدُ نَفْرَةً وَتَجَنُّبًــــا   فَتَكَــادُ تَحْسِبُهَــا مَهَاةِ الرَبْرَبِ(4)

-العين: ما تغنى به الشعراء التلمسانيون بجمال المرأة العين، التي كان لها الأثر الخاص على الرجل، والعين هي: " النافذة التي يطل عليها الشاعر على دخلة محبوبته، وتطل منها عليه، هي منبع الجاذبية التي يستأسر لها الحبيب ويلتذ الأسر..."(5).

فتحدث الشاعر محمد بن عمر المليكشي البجائي (ت740هـ/1339م) عن امرأة فتنته بنظراتها، يقول "الرجز":

وَرَنَتْ بِلَحْظٍ فَاتِنٍ لَكَ فَاتِــرٌ   أَنْظَى وَأَمْضَى مِنْ حُسَامِ المِّضْرَبِ
وَأَرَتْكَ بَابِلُ سِحْرِهَا بِجُفُونِهَا   فَسَبَتْ وَحُقَّ لِمِثْلِهَــا أَنْ تَسْتَـــبَى(6)

ويقف الشاب الظريف أمام العيون عاجزا عن مقاومة سحرها، فيقول "البسيط":

وَحَقُّ هَذِي الأَعْيُنُ السَّاحِرَةِ   وَحُسْنُ هَذِي الوَّجْنَةِ الزَّاهِرَةِ(7)

ويقول أيضا "البسيط":

---

(1) ابن أبي حجلة: المصدر السابق، ص47.
(2) شمس الدين محمد بن عفيف الدين سليمان التلمساني: ديوان الشاب الظريف، تح: شاكر هادي شكر، دط، مطبعة النجف، 1967م، ص 199.
(3) ابن أبي حجلة: المصدر السابق، ص 232.
(4) الحفناوي: المرجع السابق، ص175.
(5) دحمان، ميلودي: المرجع السابق، ص63.
(6) الحفناوي: المرجع السابق، ص175.
(7) الشاب الظريف: المصدر السابق، ص 128.

أَعَزَّ اللهُ أَنْصَـــارَ الْعُيُـــونِ وَخَلَّدَ مُلْـــكُ هَـاتِكِ الجُفُونِ
وَضَاعَفَ بِالْفُتُورِ لَهَا اقْتِدَارًا وَإِنْ تَكُ أَضْعَفَتْ عَقْلِي وَدِينِي [1]

زينة المرأة: وصفوا في المرأة زينها، حليها وطيبها فيقول ابن أبي حجلة "المتقارب":

إِذَا أَقْبَلَتْ فِي الْحُلِيِّ وَالطِّيبِ قِيلَ لِي حَبِيبُكَ بُسْتَانٌ تَضُوعُ أَزَاهِرُهُ [2]

ووصف الشاعر محبوبته، لفرط جمالها وتخصيب أطرافها حتى أثارت غيرة الشمس، يقول الشاعر أبن أبي حجلة " الوافر":

تَغَارُ الشَمْسُ مِنْهَا حِينَ تَبْدُو كَغُصْنِ البَانِ فِي الخِصْرِ البُرُودُ
بِأَطْرَافٍ مِنَ الحَنَّـــاءِ حُمْـرٌ وَأَلْحَـــاظٍ كَبِيضِ الْهِنْـــدِ سُـــودُ [3]

كما قال " البسيط":

إِنَّ المَلِيحَةَ مَنْ تُزَيِّنُ حُلِيَهَا لاَ مَنْ غَدَتْ بِحُلِيهَا تَتَزَيَنُ [4]

الشعر: وما تغن به الشعراء التلمسانيون، طول الشعر " الطويل".

إِذَا أَسَّرَتِ الصَّبَا سَلاَسِلُ شَعْرِهِ فَذَاكَ الذِي مَا إِنْ تَفُكُ قُيُـــودَهُ
يُسُوقُ إِلَى قَلْبِي الضَنَى وَيَقُودُهُ وَيَطْرُدُ عَنْ جَفْنِي الكَرَى وَيَذُودُهُ

كما يقول الشاب الظريف أيضا " الكامل".

زَادَتْ بَطْــرَةَ شَعْرِهِ المَفْـرُوقِ فَـوْ قَ جَبِينِهَـــا فِي حُسْنِهَـــا المَجْمُوعُ
فَعَجَبَتْ مِنْ تِلْكَ الذَوَائِبِ بَعْضُهُا المَحْمُولُ جَاذَبَ بَعْضُهَا المَوْضُوعُ [5]

الجمال المعنوي: وللمرأة صورة معنوية فأعطى الشعراء الزيانيون عناية بالجمال المعنوي للمرأة، ومظاهر ذلك عفة المرأة وتمنعها عن الرجل، زاد ذلك من علو شأنها في نظره، وكان مسلكها من دواعي حبه وشوقه لها، وتعلقه بها دلال على جمالها الباطني[6].

يقول الشاب الظريف في هجر الحبيبة "البسيط":

وَاصْبِرْ عَلَى هَجْرِ الحَبِيبِ فَرُبَّمَا عَادَ الوِصَالُ وَلِلْهَوَى أَخْلَاقُ [7]

وأحسن ما قيل، قول الشاعر عفيف الدين التلمساني " الطويل":

عَلَى رَبْعِ سَلْمَى بِالعَقِيقِ سَــــلاَمٌ وَجَـــادَ ثَـــرَاهُ أَدْمُعُ غَمَـــامٍ

---

(1) الشاب الظريف: المصدر السابق، ص 227.
(2) ابن أبي حجلة: المصدر السابق، ص150.
(3) نفسه: ص 78.
(4) نفسه: ص 40.
(5) الشاب الظريف: المصدر السابق، ص 90، 171.
(6) دحمان، ميلودي: المرجع السابق، ص 87.
(7) الشاب الظريف: المصدر السابق، ص 175.

مَنَــازِلُ لَوْلاَهُنَّ مَـــا عَرَفَ الهَوَى وَلاَ رَنَحَتْنَــا لــــوْعَةُ وَغَرَامٌ
وَمِنْ بُيُوتِ الحَي هَيْفَـــاءُ قَــامَةٍ لَهَا البَدْرُ وَجْهَ السَّحَابِ لِثَـامٌ
سَلُوا فِي هَوَاهَا عَنْ دَمَى لَحَظَاتِهَا فَمَا هِيَ إِلاَّ فِي القُلُوبِ سِهَامٌ
هَوَاهَا عَلَى كُلِ القُّلُوبِ فَرِيضَـــةٌ تُؤَدَى وَمِثْلِ فِي الغَرَامِ إِمَــامٌ

يظهر لنا الشاعر في قصيدته الغزلية هذه، أمواج الشعور والضنى التي يبعثها إلى محبوبته، ويقول إن هواها فريضة على العاشقين[(1)].

وما قيل عن هجران الحبيب والشوق إليه " البسيط":

كَتَبْتُ إِلَيْكُمْ وَالسُطُورُ حُرُوفُهَا بِهَا أَعْيُنٌ تَرْنُو إِلَيْكُمُ وَتَرْمَقُ
وَلِي قَلَمٌ أَمْسَى لِرَطْبِ لِسَانِهِ سَلاَمٌ مُشَوَقٌ قَدْ يَرَاهُ التَّشَوُقُ[(2)]

أما حياء المرأة، فأشاد الشعراء به، منهم الشاب الظريف، في قوله "البسيط":

فَإِنْ عَشِقْتَ فَهَذَا الحُسْنُ لِي وَطَرٌ وَإِنْ سَلَوْتُ فَهَذَا الهَجْــرُ لِي سَبَبُ
لَكِنَّ لِي حُسْنُ ظَنٍ أَنْ يُعِيدَكَ لِي ذَاكَ الحَيَاءُ وَالأَدَبُ وَذَاكَ الفَضْــلُ
وَبَيْنَنَا مِنْ عَلاَقَاتِ الهَوَى ذِمَمًــا وَمِنْ رِضَاعَةِ الأَخْلاَقِ الهَوَى نَسَبُ[(3)]

وتتجلى لنا صورة المرأة ترتدي جلبابا، ومزج محاسن المرأة بمحاسن الطبيعة، فجمال المرأة يبعث بالنشوة كالذي يبعثه جمال الطبيعة. ألم ترى أن آدم استوحش في جنته – رغم ما فيها – حتى خلق الله له حواء "الرجز":

تَاهَتْ تِلِمْسَانُ بِحُسْنِ شَبَابِهَـــا وَبَدَى طِرَازُ الحُسْنِ فِي جِلْبَابِهَا
فَالبِشْرُ يَبْدُو مِنْ حَبَابِ ثُغُورِهَا مُتَبَسِمًـــا أَوْ مِنْ ثُغُـور حَبَابِهَا
قَدْ قَابَلَتْ زَهْرَ النُّجُومِ بِزَهْرِهَـا وَبُرُوجِهَـا بِبُرُوجِهَـا وَقِبَـابِهَـا[(4)]

من خلال ما سبق، يمكن لنا القول إن نساء تلمسان غاية في الجمال والعفة، وهذا ما وصفه لنا شعراء تلمسان، بقصائدهم الغزلية، سواء الوصف العام أو الوصف المعنوي. هذا ما تطرق إليه مارمول كاربخال في وصف نساء تلمسان: " نساء تلمسان جميلات"[(5)].

(1) إبراهيم، قادة: المرجع السابق، ص 203.

(2) ابن أبي حجلة: المصدر السابق، ص 118.

(3) الشاب الظريف: المصدر السابق، ص 36.

(4) مسعود، ابن ساري: تلمسان في الشعر الجزائري في العهدين الزياني والعثماني، رسالة ماجستير، أدب عربي، جامعة قاصدي مرباح، ورقلة، 2008/2007م، ص163.

(5) مارمول، كاربخال: المصدر السابق، ج2، ص300.

الخاتمة

أصبح المغرب العربي الإسلامي في عقب سقوط الموحدين، منطقة صراع دائم بين الدول الثلاث: الزيانية، المرينية والحفصية، حيث حاولت كل دولة بسط نفوذها على الأخرى. فقد حاول الحفصيين في العديد من المرات بسط نفوذهم على الزيانيين ووصلوا لغاية تلمسان ومدية وملیانة، كما كان طموح المرينيين لا يقل عن ذلك، فحاصروا تلمسان في العديد من المرات. على هذا النحو لم يكن أمام الزيانيين سوى خوض الحروب وعقد الاتفاقيات والمهادنات، ولعبت المرأة في جميع فئات المجتمع دورا: كالجندي والجاسوسة والسفير... إلخ.

فقد شاركت المرأة الزيانية وخصوصا التلمسانية في ميدان الحرب، بتشجيعها للرجال وتحريك الهمم والإنشاد خلال رحلات الجيش، من أجل دفعهم للانتصار ومؤازرتهم أيام الحصار الطويل لتلمسان.

أما في المجال السياسي، اختصت به قلة من النساء واقتصرت على الفئة الحاكمة كمشاركة سوط النساء في تثبيت الحكم وتهدئة الأوضاع بين الزيانيين والحفصيين. كما نجد الجواري في مجال التجسس والمراقبة، حيث يمكننا ذكر شخصية زوجة عثمان بن يغمراسن في الاستشارة السياسية.

في الجانب الاجتماعي، تباينت مكانة المرأة بين فئات المجتمع، فكل فئة كان للمرأة دور خاص بها، فنجد الفئة الحاكمة عرفت نظام الحريم المتكون من عدة زوجات والجواري، كما تمتعت المرأة فيه بفرض إرادتها. أما داخل البيوتات العلمية وكبار التجار، كان للمرأة مكانة عالية ومرموقة، بسبب المستوى المعيشي المقبول، الذي مكنها من الحصول على الجواري والعبيد لخدمتها، كما تمتعت بحق مناقشة زوجها وفرض إرادتها أيضا. لكن ما يعاب على هذين الفئتين، انتشار العادات السيئة بين النساء، خاصة جواري القصر وعائلات كبار التجار، فأعيت هذه الظواهر سلاطين بني زيان خاصة أيام المتوكل. أما الفئة العامة من الناس، فكانت فيه المرأة تقوم بشؤون بيتها من خدمة الزوج ومساعدته على إعانة العائلة.

اختلف الزواج حسب فئات المجتمع، فعرفت الفئة الحاكمة المصاهرات السياسية، التي تمت بين سلاطين دول المغرب الإسلامي لخدمة المصلحة السياسية وأصحاب العلم والجاه تمثلت في علاقات المصاهرة بأسرة عريقة تماثلها في العلم أو المال. أما عامة الناس فكانت تختار العائلة الزوج المناسب لابنتها، وتزوج الفتاة قسرا في بعض الأحيان، وعرفت أنواع عديدة من الزواج في هذه الفئة كزواج الأقارب، زواج البدل والميراث ... الخ. إلا أن الأسرة الزيانية، عانت من انحلال أسري سواء بالطلاق أو الخلع أو موت أحد الطرفين.

كان للمرأة التلمسانية الزيانية عادات وتقاليد، تمثلت في عادات الزواج من خطبة ومهر وعقد وكل ما يتبعها من مظاهر الاحتفالات، حيث أبدعت نساء تلمسان في الزينة وصناعة أنواع الطعام والمأكولات، وأهم ما يلاحظ في هذا الجانب، تشابه المائدة التلمسانية بالأندلسية ولعل ذلك يرجع إلى هجرات الأندلسيين. هذه الزينة والألبسة، كانت حسب كل فئة، فالمرأة الغنية لبست الحرير والثياب المطرزة بخيط الذهب، وتزينت بخواتم وأقراط وخلخال وسوار من الذهب، أما النساء في الريف فلبسن اللباس المصنوع من الصوف، وتزينت بالحناء والكحل حسب المستوى المادي لكل امرأة.

أما الاحتفالات الدينية، فكانت المرأة الزيانية تعد مختلف الأطعمة والحلويات بحسب كل مناسبة، على الرغم مما عرفته من عادات سيئة ذمها الفقهاء في شتى نوازلهم.

وعرفت المرأة الزيانية نوعا من الحرية كخروجها إلى الحمامات وزيارة أضرحة الأولياء الصالحين والأسواق والمقابر والمنتزهات، إلا أنها وجدت معارضة قوية من قبل الفقهاء.

في المجال الثقافي، سجلت المرأة حضورها في التعليم، لكنه حسب فئات المجتمع. فالمرأة في الفئة الخاصة والبيوت العلمية، أخذت حقها من التعليم، فكانت تعلم داخل المنازل بإحضار معلمين لها. أما المرأة بالفئة العامة، اقتصر تعليمها على المرحلة الأولى بالكتاتيب وحفظ القرآن، على الرغم من مطلب الفقهاء بتعليم النساء خصوصا أمور دينهن.

ولظروف معينة كالإهراه الاجتماعي اتجهت النساء إلى حقل التصوف، غير أنهن لم يكن لهن دور فعال في الحياة العملية وتأثير بشكل مباشر مثل المتصوفة الرجال.

ولنساء تلمسان جمال خاص بهن صوره لنا الشعراء، من خلال تغزلهم بقصائد صوروا لنا المظهر العام فيهن، والجانب المعنوي من عفة وحياء.

قائمة

المصادر والمراجع

القرآن الكريم

-المصادر

1- ابن الأحمر أبو الوليد إسماعيل: روضة النسرين في دولة بني مرين، تح: عبد الوهاب، منصور، دط، المطبعة الملكية، الرباط، المغرب، 1962م.

2- ابن خلدون أبي زكريا يحيى بن أبي بكر محمد بن محمد بن الحسن: بغية الرواد في ذكر ملوك من بني عبد الواد، م1، دط، مطبعة بيبر فونطانا الشرقية، الجزائر، 1903م.

3- ابن خلدون، عبد الرحمان: تاريخ بن خلدون المسمى ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر، تح: سهيل، زكار، ج7، دط، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، 2007م.

4- ابن خلدون، عبد الرحمان: مقدمة، ج1، دط، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، دت.

5- ابن مرزوق محمد، التلمساني أبي عبد الله: المناقب المرزوقية، درا وتح: سلوى، الزاهري، ط1، منشورات وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، المملكة المغربية، 2008م.

6- ابن مرزوق محمد، التلمساني: المسند الصحيح في مآثر ومحاسن مولانا الحسن، درا وتح: ماريا خيسوس بيغيرا، تق: محمود، بوعياد، دط، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1981م.

7- البكري أبي عبد الله بن عبد العزيز: المغرب في ذكر بلاد افريقية والمغرب وهو جزء من كتاب المسالك والممالك، دط، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة، دت.

8- البلنسي محمد العبدري: الرحلة المغربية، تق: سعيد، بوفلاقة، ط1، مؤسسة بونة للبحوث والدراسات، عنابة، الجزائر، 2007م.

9- التادلي أبي يعقوب بن يحيى: التشوف إلى رجال التصوف، تح: أحمد توفيق، ط2، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، الرباط، المغرب، 1997م.

10- التنسي، محمد بن عبد الله بن عبد الجليل حافظ: تاريخ بني زيان ملوك تلمسان مقتطف من نظم الدرر والعقيان في شرف بني زيان، تح وتع: محمد آغا، بوعياد، دط، موفم للنشر، الجزائر، 2011م.

11- الزركشي أبي عبد الله محمد بن إبراهيم: تاريخ الدولتين الموحدية والحفصية، تح: محمد، ماضنود، ط2، الناشر المكتبة العتيقة، تونس، دت.

12- العبدري أبو عبد الله محمد بن محمد بن محمد: المدخل لابن الحاج، ج2، دط، مكتبة دار التراث، القاهرة، دت.

13- العقباني التلمساني أبي عبد الله محمد بن أحمد بن قاسم سعيد: تحفة الناظر وغيبة الذاكر في حفظ الشعائر وتغيير المناكر، تح: علي، الشنوفي، مأخوذ من: منشورات الدراسات الشرقية للمعهد الفرنسي بدمشق، سوريا، م19، 1967م.

14- الغبريني أحمد أحمد بن عبد الله أبو العباس:" عنوان الدراية فيما عرف من العلماء في المائة السابعة لبجاية، تح: عادل مويهض، ط2، دار الآفاق الجديدة، بيروت، لبنان، 1979م.

15- الكتاني الشريف أبي عبد الله محمد بن جعفر بن إدريس: سلوة الأنفاس ومحادثة الأكياس بمن أقبر من العلماء والصلحاء بفاس، تح: عبد الله الكامل الكتاني وآخرون، ج1، ط1، دار الثقافة، دار البيضاء، المغرب، 2004م.

16- الناصري أبو العباس احمد بن خالد: الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى، الدولة المرينية، ج3، تح وتع: جعفر، الناصري، محمد، الناصري، دط، دار الكتاب، الدار البيضاء، 1997م.

17- النميري، ابن الحاج: فيض العباب وإفاضة قداح الآداب إلى حركة السعيدة إلى قسنطينة والزاب، درا وإع: محمد، بن شقرون، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، 1999م.

18- الوزان الفاسي، حسن بن محمد: وصف افريقيا، تر: محمد، حاجي، محمد الأخضر، ج2، ط2، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، 1983م.

19-الونشريسي، أبي العباس أحمد بن يحيى: المعيار المعرب والجامع المغرب عن فتاوى أهل افريقية والأندلس والمغرب، تح: محمد حاجي وآخرون، ج3، 4، 5، 11، دط، نشر وزارة الأوقاف للملكة المغربية، 1981م.

20-ابن الخطيب، لسان الدين: اللمحة البدرية في الدولة النصرية، تص: محب الدين، الخطيب، دط، المطبعة السلفية القاهرة، 1929م.

21-ابن حزم أبي محمد علي ابن أحمد ابن سعيد: طوق الحمامة في الألفة والآلاف، تح: حسن، كامل الصيرفي، تق: إبراهيم، الأبياري، دط، دون دار نشر، 1950م.

22- ابن قنفذ القسنطيني أبي العباس أحمد الخطيب: أنس الفقير وأعز الحقير، تص: محمد الفاسي، وأدولوف فور، دط، منشورات المركز الجامعي للبحث العلمي، الرباط، المغرب، 1965م.

23-الإدريسي، أبي عبد الله محمد بن محمد عبد الله بن إدريس الحموي: نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، ج1، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، مصر، 2002م.

24-البرزلي أبي القاسم ابن احمد البلوي التونسي: فتاوى البرزلي جامع مسائل الأحكام لما نزل من القضايا بالمفتين والحكام، تق وتح: محمد الحبيب، الهيلة، ج2، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، 2002م.

25-المقري أحمد ابن محمد التلمساني: نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، تح: إحسان عباس، مج7، دط، دار الصادر، بيروت، لبنان، 1961م.

26- تاجيبي علي بن محمد بن رزين: فضالة الخوان في طيبات الطعام والألوان، صورة من فن الطبخ بالأندلس، تح: محمد بن شقرون، إشراف: إحسان عباس، ط2، الناشر إيران للعلوم الطبية، 2009م.

27- شمس الدين محمد بن عفيف الدين سليمان التلمساني: ديوان الشاب الظريف، تح: شاكر هادي شكر، دط، مطبعة النجف، 1967م.

28- شهاب الدين أحمد بن حجلة المغربي المعروف بابن أبي حجلة: ديوان الصبابة، دط، دار مكتبة الهلال للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، 1980م.

29-عبد الله بن محمد بن محمد بن أحمد بن مريم: البستان في ذكر الأولياء والعلماء بتلمسان، مرا: محمد بن شنب، دط، مطبعة الثعالبية، الجزائر، 1908م.

30- مارمول، كربخال: إفريقيا، تح: محمد حاجي وآخرون، ج2، دط، مكتبة المعارف، الرباط، المغرب، 1984م.

31-مؤلف مجهول: الذخيرة السنية في تاريخ الدولة المرينية، اعتنى بنشر الكتاب: محمد بن أبي شنب، دط، الجزائر، 1920م.

-المعاجم:

1-ابن منظور، أبي الفضل جمال الدين محمد بن مكرم: لسان العرب، ج8، ط1، دار الصادر، بيروت، لبنان، دت.

2- الزركلي خير الدين: الأعلام -قاموس التراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين، ج3، ط15، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، 2002م.

3- عبد الكريم الخطيب، مصطفى: معجم المصطلحات والألقاب التاريخية، ط1، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان.

4-مجمع اللغة العربية: المعجم الوجيز، مطابع شركة الإعلانات الشرقية، دار التحرير للطباعة والنشر.

-المراجع:

1- أبو مصطفى، كمال: جوانب من حضارة المغرب الإسلامي من خلال نوازل الونشريسي، ط1، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية، مصر، 1998م.

2- إسكان، حسين: تاريخ التعليم بالمغرب خلال العصر الوسيط (القرن 1هـ-9هـ/7-15م)، دط، مطبعة المعارف الجديدة الرباط، 2004م.

3- الجيلالي، محمد بن عبد الرحمان: تاريخ الجزائر العام، ج2، ط2، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت، لبنان، 1965م.

4- الحفناوي، أبي قاسم محمد: تعريف الخلف برجال السلف، ج2، دط، مطبعة فونتانا الشرقية، الجزائر، 1906م.

5- القاسمي الحسني، عبد المنعم: أعلام التصوف في الجزائر، منذ البدايات إلى غاية الحرب العالمية الأولى، ط1، دار الخليل القاسمي للنشر والتوزيع، بوسعادة، الجزائر، 2005م.

6- العقبي، صلاح مؤيد: الطرق الصوفية والزوايا في الجزائر، تاريخها ونشاطها، دط، دار البراق، بيروت، لبنان، 2002م.

7- برنشفيك، روبار: تاريخ افريقية في العهد الحفصي من القرن 13هـ إلى نهاية القرن 15هـ، تع: حمادي، الساحلي، ج1، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، 1988م.

8- بلعربي، خالد: تلمسان من الفتح الإسلامي إلى قيام الدولة الزيانية(55هـ-633هـ/675م-1235م)، ط1، دار الألمعية للنشر والتوزيع، قسنطينة، الجزائر، 2011م.

9- بوبريك، رحال: بركة النساء، الدين بصيغة المؤنث، دط، منشورات افريقيا الشرق، المغرب، 2010م.

10- بونابي، الطاهر: التصوف في الجزائر خلال القرنين 6-7هـ/12-13م، نشأته، تياراته، دوره الاجتماعي والثقافي والفكري والسياسي، دط، شركة دار الهدي للطباعة والنشر والتوزيع، عين مليلة، الجزائر، 2004م.

11- حساني، مختار: تاريخ الدولة الزيانية، الأحوال الاجتماعية، ج3، دط، منشورات الحضارة، الجزائر،2009م.

12- سامي النبراوي، نجلاء: المرأة العاملة بالمغرب والأندلس، دراسة تاريخية وثائقية، الألوكة للنشر، دت.

13- كرارز، فوزية: دور المرأة في الغرب الإسلامي من القرن 5هـ إلى منتصف القرن 7هـ، دراسة في التاريخ الحضاري والاجتماعي للغرب الإسلامي، تق: غازي جاسم الشموي، دار الأديب للنشر والتوزيع، وهران، الجزائر، دت.

14- محمودي، عمر: فقه الأسرة المسلمة من خلال نوازل المعيار للونشريسي، دراسة تأصيلية، دط، شبكة الألوكة للنشر، دت.

15- منصور، عبد الوهاب: قبائل المغرب، ج1، دط، المطبعة الملكية، الرباط، 1968م.

16-حاجيات، عبد الحميد: أبو حمو موسى الزياني حياته وآثاره، طبعة خاصة، عالم المعرفة للنشر والتوزيع، الجزائر، دت.

17- فيلالي، عبد العزيز: تلمسان في العهد الزياني (دراسة سياسية، عمرانية، اجتماعية، ثقافية)، ج1،ج2، دط، موفم للنشر، الجزائر، 2002م.

18- كحالة، عمر رضا: أعلام النساء في عالمي العرب والإسلام، ج1، دط، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، دت.

-الرسائل الجامعية:

1- ابن داود، نصر الدين: بيوتات العلماء بتلمسان، رسالة دكتوراه، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة أبو بكر بلقايد، جامعة تلمسان، الجزائر، 2010/2009م.

2- بونابي، الطاهر: الحركة الصوفية في المغرب الأوسط خلال القرنين 8-9هـ/14-15م، رسالة دكتوراه، جامعة الجزائر، 2009/2008م.

3- عبدلي، الأخضر: الحياة الثافية بالمغرب الأوسط في عهد بني زيان(633هـ-962هـ/1236م-1554م)، رسالة دكتوراه، جامعة أبي بكر بلقايد، تلمسان، الجزائر، 2005/2004م.

4- محمد، مكيوي: العلاقات السياسية والفكرية المغاربية للدولة الزيانية منذ قيامها حتى نهاية أبي تاشفين الأول (633هـ/1236م-737هـ/1337م)، رسالة دكتوراه في الفنون، جامعة أبي بكر بلقايد، تلمسان، الجزائر، 2007-2008م.

5- حساني، مختار: الأوضاع الاجتماعية والاقتصادية للدولة الزيانية (633هـ-962هـ/1235م-1554م)، رسالة دكتواره، المعهد الوطني للدراسات التاريخية، جامعة الجزائر، 1986م.

6- ابن ساري، مسعود: تلمسان في الشعر الجزائري في العهدين الزياني والعثماني، رسالة ماجستير، أدب عربي، جامعة قاصدي مرباح، ورقلة، 2008/2007م.

7- الشقطمي، هناء: الخطاب الفقهي والريف في المغرب الأوسط من خلال الدرر المكنونة في نوازل مازونة، رسالة ماجستير، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة قسنطينة، الجزائر، 2012-2013م.

8- بكاي، هوارية: العلاقات الزيانية المرينية سياسيا وثقافيا، مذكرة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ، جامعة أبي بكر بلقايد، تلمسان، الجزائر، 2008/2007م.

9- شقدان، بسام كامل عبد الرزاق: تلمسان في العهد الزياني، رسالة ماجستير، جامعة النجاح الوطنية، نابلس، فلسطين، 1422هـ/2002م.

10- قادة، إبراهيم: صورة المرأة في الشعر المغربي حتى نهاية القرن 8هـ، رسالة ماجستير، قسم اللغة العربية وآدابها، جامعة الحاج لخضر، باتنة، 2009/2008م.

11- مزدور، سمية: المجاعات والأوبئة في المغرب الأوسط (588هـ-927هـ/1192م-1520م)، رسالة ماجستير، جامعة منتوري، قسنطينة، الجزائر، 2009/2008م.

12- ميلودي، دحمان: صورة المرأة في الشعر الجزائري القديم – العهد الزياني نموذجا -رسالة ماجستير، قسم اللغة العربية وآدابها، جامعة قاصدي مرباح، ورقلة، الجزائر، 2009/2008م.

13- نميش، سميرة: دور أهل الذمة بالمغرب الأوسط خلال العهد الزياني من القرن 7هـ-10هـ/13م-16م، رسالة ماجستير، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة أبو بكر بلقايد، تلمسان، الجزائر، 2014/2013م.

-المقالات

1- الوالي، سعاد: الرمز الأنثوي في القصيدة المولدية، ديوان جنى الجنتين في مدح خير الفرقتين، لابن خلوف القسنطيني (نماذج منتقاة)، مجلة المخبر، أبحاث في اللغة والأدب الجزائري، ع9، جامعة بسكرة، الجزائر، 2013م.

2- بختاوي، قاسمي: التعليم بالكتاب في المغرب الأوسط أيام حكم بني عبد الواد، مجلة كان التاريخية، ع12، 2011م.

3- بشير، عبد الرحمان: المرأة المغربية في نوازل أبي قاسم البرزلي، مجلة عصور الجديدة، ع11-12، جامعة وهران، الجزائر، فيفري 2014م.

4- بودشيش، إبراهيم قادري: الحب في العلاقات الزوجية بالعائلة المغربية خلال العصر الوسيط (مساهمة في دراسة تاريخ المشاعر الإنسانية القرن 5-6هـ/11-12م)، مجلة عصور الجديدة، ع5، جامعة وهران، الجزائر، 2012م.

5- بورشمة الهادي: الحمام الشعبي بتلمسان، مجلة انسانيات، ع63-64، جامعة جيلالي ليابس، سيدي بلعباس، الجزائر، جوان 2014م.

6- بوكرديمي، نعيمة: صورة المرأة في العهد الزياني، مجلة المواقف للبحوث والدراسات في المجتمع والتاريخ، ع12، جامعة الشلف، الجزائر، ديسمبر 2017م.

7- جدي، مراد: التدين الصوفي في طبعته النسوية ورهان النوع الاجتماعي، لالة ميمونة رمز الصلاح الانثوي، مجلة الدراسات والأبحاث، مؤمنون بلا حدود، نوفمبر 2016.

8- خلفات، مفتاح، عمروش، حسيبة: المرأة في المغرب الأوسط خلال العهد الزياني (633هـ-692هـ/1235م-1555م) قراءة في الحضور السياسي والعسكري، مجلة الباحث في العلوم الإنسانية والاجتماعية، ع29، جامعة الوادي، الجزائر، جوان 2017م.

9- خليلي، بختة: دور بعض السلاطين والفقهاء والوجهاء الزيانيين في مواجهة ظاهرة الفقر بالمغرب الأوسط، مجلة الأكاديمية للدراسات الاجتماعية والإنسانية، ع15، جامعة معسكر، الجزائر، جانفي 2016.

10- عزرودي، نصيرة: الدولة الزيانية وتفعيلها في تفعيل النشاط الحرفي في المغرب الأوسط، مجلة البحوث الاجتماعية والتاريخية، ع4، جامعة قسنطينة، جوان 2013م.

11- غزالي، محمد: الأثر الاجتماعي لقضايا الخلع والطلاق في بلاد المغرب الإسلامي من خلال كتاب المعيار للونشريسي، مجلة عصور الجديدة، ع11-12، جامعة وهران، الجزائر، فيفري2013-2014م.

12- قاسمي، ربيعة: عادات المرأة المغربية المنهى عنها من نوازل المعيار للونشريسي، مجلة عصور، ع26-27، جامعة وهران، الجزائر، جويلية-ديسمبر 2015م.

الفهرس

الفهرس

العنوان **الصفحة**

التشكرات

الاهداء

قائمة المختصرات

المقدمة..... أ

الفصل الأول: الحضور السياسي والعسكري للمرأة التلمسانية الزيانية

تمهيد..... 12

1-الحضور السياسي للمرأة الزيانية 12

1-1-تثبيت الحكم..... 12

1-2-المصاهرات السياسية..... 14

1-3-الجوسسة ونظام الاستخبارات..... 16

2-الحضور العسكري للمرأة الزيانية..... 17

2-1-القتال وإثارة الحماس..... 18

2-2-المنع والتخفيف..... 19

الفصل الثاني: الحضور الاجتماعي والاقتصادي للمرأة التلمسانية الزيانية

تمهيد..... 23

1-الحضور الاجتماعي للمرأة التلمسانية الزيانية..... 23

1-1-مكانة المرأة بالمجتمع الزياني..... 23

1-1-1-المرأة لدى مجتمع الخاصة..... 23

1-1-2-المرأة لدى مجتمع المدينة..... 27

1-2-عادات وتقاليد المرأة التلمسانية الزيانية..... 30

1-2-1-آداب الخطبة والزواج..... 30

1-2-2-مظاهر الاحتفالات الدينية..... 37

1-2-3-عادات متعلقة بخروج النساء..... 41

2-الحضور الاقتصادي للمرأة التلمسانية الزيانية..... 46

2-1-المرأة في المدينة..... 46

2-2-المرأة الريفية..... 48

الفهرس

العنوان	الصفحة
الفصل الثالث: الحضور الثقافي للمرأة التلمسانية الزيانية	
تمهيد	51
1-المرأة التلمسانية والتعليم	51
2-المرأة التلمسانية والتصوف	54
3-صورة المرأة في الشعر الزياني	58
الخاتمة	64
قائمة المصادر والمراجع	67

الملخص

لعبت المرأة التلمسانية (633-962هـ/1235-1554م) دورا هاما داخل المجتمع الزياني، إذ لها مشاركات فعالة في البناء والمساهمة الحضارية.

ففي المجال السياسي، أدت أدوارا لا يستهان بها كتثبيت الحكم. أما المجال العسكري ومن خلال مرافقتها للجيوش، قامت بإيقاد الوجدان، إثارة الحماس وتحريك الهمم.

أما حضورها الاجتماعي والاقتصادي، فقد تباين حسب الفئة التي تنتمي إليها. فأعطت لنا كتب الفقه والنوازل خاصة نوازل الونشريسي، صورة عامة عن الوضع الاجتماعي للمرأة الزيانية التلمسانية، من زواج، عادات، تقاليد واحتفالات دينية، بالإضافة لبعض العادات المذمومة الخارجة عن نطاق الدين، التي نهى عنها الفقهاء ودعوا النساء لتركها. في الجانب الاقتصادي، المرأة في البادية عانت أكثر من المرأة في المدينة، بحكم طبيعة البيئة والمعيشة ومساعدة الزوجة لزوجها على إعالة العائلة.

أما الجانب الثقافي، فلم تحظى كل النساء بفرصة التعليم، فالحظ الأوفر نالته المرأة المنتمية للبيوتات العلمية والفئة الحاكمة، فكانت منهن الصالحة والزاهدة والأديبة. للمرأة التلمسانية جمال خاص تغنى به الشعراء الزيانيون، فوصفوا الجانب الحسي والمعنوي بأروع القصائد.

الكلمات المفتاحية: المرأة الزيانية-الحضور السياسي-الدور العسكري-العادات والتقاليد-الحياة الثقافية.